بسم الله الرحمن الرحيم

الحقيقة الصوفية

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً للناس أجمعين، سيد ولد آدم يوم الدين وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد فهذه الرسالة قد احتوت على أصول الفكر الصوفي الذي بدأ تحت مسمى (الفقراء)، ثم دخلت إليه عقائد الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، مما نتج عنه جعل أولياء الشيطان أولياء للرحمن، وإدخال الزنادقة والملحدين ليكونوا أئمة في الدين، والتحول عن عبادة الله الواحد القهار إلى عبادة الطواغيت ممن يدعون إلى عبادة أنفسهم من الشيوخ والزنادقة الملحدين، وتعظيم شعائر الشرك من عبادة القبور، والمشاهد والمزارات، والتعبد بالدفوف والطبول والسماعات.

وقد كان للحلاج، وابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، وعبد الكريم الجيلي، وعبد العزيز المبارك السلجماسي صاحب كتاب الإبريز، وأحمد التيجاني، وأبي الهدى الصيادي الرفاعي، وغيرهم ممن على شاكلتهم اليد الطولى في صياغة هذا الفكر ونشره، والذي تولى كبر هذا الأمر كله هو ابن عربي الذي يعتبر كتابه الفتوحات المكية هو بحر الظلمات، وأعظم مستنقع اغترف منه من جاء بعده.

فهو أعظم شارح وناشر للقول بوحدة الوجود، وهو القائل بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو أول المخلوقات، ومنه خلقت جميع الخلائق وهو المستوي على عرش الله، وهذا ما أصبح بعد ذلك عقيدة للمتصوفين الذين جاءوا والذين سموا هذا (بالحقيقة المحمدية).

وقد اشتملت هذه النسخة الجديدة على الرسالة السابقة والتي طبعت مراراً باسم: (فضائح الصوفية)، وعلى رسالة أخرى بعنوان: (ابن عربي إمام من أئمة الكفر والضلال) رددنا على من زعم أنه إمام من أئمة الدين، وجبلٌ من جبال العلم، وقد أضفنا لها كذلك فصلاً جديداً للتعريف بما سمي (بالحقيقة المحمدية) ومقالاً في الرد على من قادوا حملة لترويج هذا الفكر تحت تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم (بحب الأكوان)، ومن: أطلق على الرسول صلى الله عليه وسلم مسمى: (سيد الوجود).

والله نسأل أن ينفع بهذه الرسالة عباده، ويجنبهم الوقوع في مهاوي الضلال إنه هو السميع العليم.

وكتبه

عبد الرحمن عبد الخالق

الكويت: الاربعاء ١٤ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٥هـ

الموافق ٤ من يوليو سنة ٢٠٠٤م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق بين يدي الساعة مفرقاً بين الهدى والضلال، وبين التوحيد والشرك، وبين الجاهلية والإسلام، والصلاة والسلام على النبي الهادي الذي أتم رسالة ربه غاية الإتمام، وترك أمته على المحجة الواضحة البينة التي لا يزيغ عنها إلا من صرف الله قلبه عن الإيمان والإسلام، وبعد:

فإني رأيت بعد طول دراسة وتدبر أن الفكر الصوفي هو أشد الأخطار جميعاً على أمة الإسلام وأنه الذي حول عز هذه الأمة ذلاً ومهانةً، ولا يزال هذا دأبه على الدوام، وأنه السوس الذي ظل ينخر ويهدم في جسم شجرتنا الباسقة حتى أناخها مع الأيام، وأنه لا خلاص للأمة إلا بالتخلص من هذا السوس أولاً قبل أي خطر آخر، وقد كتبت بحمد لله في هذا الكتاب (الفكر الصوفي)، ولما كان هذا الكتاب ذا حجم كبير قد لا يسعف القارئ المشغول أن يلم بأطرافه، أفردت هذه الرسالة الصغيرة لتشح أهم المخاطر التي تهدد العالم الإسلامي من وراء الفكر الصوفي، لعل في هذه الرسالة باعثاً ومنبهاً لقادة الأمة الإسلامية وموجهيها أن يحذروا من هذه الآفة الخفية الماحقة ويعملوا على استئصالها من جسم الأمة الإسلامية.

ثم أتبعت بيان المخاطر بنموذج مختصر لكيفية الجدال مع الصوفي وذلك حتى يتدرب طلاب العلم على كيفية النقاش معهم ويتعلموا كيف يستطيعون إقامة الحجة عليهم أو لإقامتهم على الطريق المستقيم.

والله أسأل أن ينفع بهذه الرسالة أمة الإسلام وطلاب العلم الشرعي، وأحمد الله وأصلي على عبده ورسوله في البدء والختام.

كتبه

عبد الرحمن عبد الخالق

الكويت: السبت ١٤ من ذي القعدة سنة ١٤٠٤هـ

الموافق: ١١ من أغسطس سنة ١٩٨٤م

الباب الأول

مخاطر الفكر الصوفي

هذه هي أهم مخاطر الفكر الصوفي:

١ ــ صرف الناس عن القرآن والحديث:

عمد المتصوفة قديماً وحديثاً إلى صرف الناس عن القرآن والحديث بأسباب شتى وطرق ملتوية جداً، ومن هذه الطرق ما يلي:

أ ــ الزعم أنّ التدبر في القرآن يصرف النظر عن الله، فقد جعلوا الفناء في الله في زعمهم هو غاية الصوفي، وزعموا أيضاً أن تدبر القرآن يصرف عن هذه الغاية، وفاتهم أن تدبر القرآن هو ذكر الله عز وجل لأن القرآن إما مدح الله بأسمائه وصفاته، أو ذكر لما فعله سبحانه بأوليائه وبأعدائه، وكل ذلك مدح له وعلم بصفاته أو تدبر لحكمه وشرعه، وفي هذا التدبر تظهر حكمته ورحمته بخلقه عز وجل، ولكن لأن الصوفية يريد كل منهم أن يكون إلهاً ويتصف -في زعمه بصفات الله- فإنهم كرهوا تدبر القرآن لذلك.

وها هو الشعراني يقول في كتابه (الكبريت الأحمر): يقول الله عز وجل في بعض الهواتف الإلهية: (يا عبادي: الليل لي لا للقرآن يتلى، إنّ لك في النهار سبحاً طويلاً فاجعل الليل كله لي، وما طلبتك إذا تلوت القرآن بالليل لتقف على معانيه، فإنّ معانيه تفرقك عن المشاهدة، فآية تذهب بك إلى جنتي وما أعددت فيها لأوليائي، فأين أنا إذا كنت في جنتك مع الحور متكئاً على فرش بطائنها من إستبرق؟ وآية تذهب بك إلى جهنم فتعاين ما فيها من أنواع العذاب، فأين أنا إذا كنت مشغولاً بما فيها؟ وآية تذهب بك إلى قصة آدم أو نوح أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام وهكذا، وما أمرتك بالتدبر إلا لتجتمع بقلبك علي، وأمّا استنباط الأحكام فلها وقت آخر وثم مقام رفيع وأرفع). أ.هـ [الكبريت الأحمر على هامش اليواقيت والجواهر ص٢١].

وهذه زندقة عظيمة، إذ أين قال الله هذا الذي يفتريه الشعراني؟ ثم كيف يقول الله ما يخالف القرآن الحق المنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى: {كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب} [ص: ٢٩]. وقال تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها} [محمد:٢٤]، وقال تعالى: {فذكر بالقرآن من يخاف وعيد} [ق:٤٥]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل بالقرآن كلما مرّ على آية فيها ذكرٌ للجنة وقف عندها

ودعا الله عز وجل، وكلما مر على آية أخرى فيها تهديد ووعيد، وقف عندها ودعا الله سبحانه واستعاذ من النار كما صحّ ذلك من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهؤلاء زعموا أنّ قراءة القرآن بالليل والقيام به مشغلة وانصراف عن الله!!

والحال أنّ القيام بالليل هو أعظم فريضة فرضها الله على رسوله ليبلغ بذلك المنزلة العظمى يوم القيامة، قال تعالى: {ومن الليل فتهجد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً} [الإسراء:٧٩]، ومعنى: {فتهجد به} [الإسراء:٧٩-٨٠] أي بالقرآن، فجعل الله المقام المحمود للرسول ثمرة لقيام الليل بالقرآن وهذا أيضا أول أمر أُمِر به الرسول صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: {يا أيها المزمّل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً*} [المزمل:١-٤].

والمهم هنا أن هؤلاء الكذابين صرفوا الناس عن القرآن بزعمهم أنه مشغلة عن عبادة الله فأي تلبيس أكبر من هذا.

ب ـ الزعم بأن أجر أذكارهم المبتدعة أفضل من القرآن، كما قال أحمد التيجاني وغيره: إن صلاة الفاتح تعدل كل ذكر تلي في الأرض ستة آلاف مرة..! – اقرأ الفصل الخاص بالطريقة التيجانية في الفكر الصوفي)، وهذا في المحصلة يؤدي بالناس إلى هجر القرآن إلى الأذكار المبتدعة.

ج ـ زعمهم أن من قرأ القرآن وفسره عاقبه الله لأن للقرآن أسراراً ورموزاً، وظهراً وبطناً ولا يفهمها إلا الشيوخ الكبار ولو تعرض شيء من تفسيره أو فهمه عاقبه الله عز وجل.

د ـ جعل القرآن والحديث هو الشريعة والعلم الظاهر وأما العلوم اللدنية الأخرى في زعمهم، فهي أكمل وأعلى من القرآن كما قال أبو يزيد البسطامي: (خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله)، وقال ابن سبعين: (لقد حجر ابن آمنة واسعاً إذ قال لا نبي بعدي)، وهذا القول من هذا الزنديق في غاية الشناعة والباطل واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم!! فلعنة الله على من قال ذلك أو صدقه وتابعه في هذا القول.

وباختصار: فللمتصوفة –أعني الزنادقة منهم– أساليب عظيمة في الكيد والمكر بالإسلام، ومن أعظم ذلك صرف الناس عن القرآن بهذه الأكاذيب والافتراءات.

٢ ـ باب التأويل الباطني لنصوص القرآن والحديث:

ومن أعظم مخاطر الفكر الصوفي كذلك فتحهم باب للتفسير الباطني لنصوص القرآن والسنة، والحق أنه لا يكاد يوجد آية أو حديث إلا وللمتصوفة الزنادقة تأويلات باطنية خبيثة لها، ويقول ابن الجوزي في وصف ذلك: (وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي في تفسير القرآن من كلامهم الذي أكثره هذيان لا يحل، نحو مجلدين سماها: (حقائق التفسير) قال في فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك وإلا حرمت لطائف ما بعد.!!

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل، وقال في قول الإنسان (آمين) أي قاصدون نحوك.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه ليس من (أمّ) لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة، وفي قوله: {وإن يأتوكم أسارى} [البقرة:٨٥]، قال: قال أبو عثمان: غرقى في الذنوب، وقال الواسطي: غرقى في رؤية أفعالهم، وقال الجنيد: أسارى في أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق.

قلت: وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم، وإذا حاربتموهم قتلتموهم، وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح، وقال محمد بن علي: {يحب التوابيين} [البقرة:٢٢٢] من توبتهم، وقال النوري: {يقبض ويبسط} [البقرة:٢٤٥] أي يقبض ويبسط لإياه وقال في قوله: {ومن دخله كان آمناً} [آل عمران:٩٧] أي من هواجس نفسه ومن وساوس الشيطان.

وهذا غاية في القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه، وهؤلاء فسروها على الخبر، ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل إلى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس، وذكر في قوله: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه} [النساء: ٣١] قال أبو تراب: هي الدعاوي الفاسدة، {والجار ذي القربى} [النساء: ٣٦]، قال سهل: هو القلب، {والجار الجنب} [النساء: ٣٦] النفس، {وابن السبيل} [النساء: ٣٦] الجوارح، وقال في قوله: {وهم بها} [يوسف: ٢٤]، قال أبو بكر الوراق: الهمان لها ويوسف ما هم بها.

قلت: هذا خلاف لصريح القرآن.

وقوله: {ما هذا بشراً} [يوسف: ٣١]، قال محمد بن علي: ما هذا بأهل أن يدعى المباشرة، وقال الزنجاني: الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم، وقال في قوله: {فلله المكر جميعاً} [الرعد: ٤٢]، قال الحسين: لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوفاهم أن لهم سبيلاً إليه بحال، أو للحدث اقتران مع القدم.

قال المصنف رحمه الله: ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفرٌ محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب، ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك، وقال في قوله: {لعمرك} [الحجر: ٧٢] أي بعمارتك سرك بمشاهدتنا.

قلت: وجميع الكتاب من هذا الجنس، ولقد هممت أن أثبت من ها هنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع بين الكفر والخطأ والهذيان، وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية فمن أراد أن يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه، ومن أراد الزيادة فلينظر في الكتاب. [تلبيس إبليس ص٣٣٢، ٣٣٣].

وهذا الذي ذكره الإمام ابن الجوزي إنما هو نموذج فقط للتأويل الصوفي لرواده الأوائل، ولو رحنا نتتبع ما سطرته أيدي المتصوفة من التأويل الباطني الخبيث للقرآن والحديث لجمعنا عشرات المجلدات كلها من أمثال هذا الهذيان والافتراء، والتقول على الله بلا علم والزعم أن هذه هي معاني القرآن الحقيقية.

وللأسف فإن المنهج الباطني لتأويل القرآن والحديث قد درج عليه من سار على هديهم لليوم، ولقد أصبح منهاجاً وأسلوباً لمن ابتلي بالتصديق بهذه الخرافات الصوفية، وإطلاعك مثلاً على كتاب: [القرآن محاولة لتفسير عصري] لمؤلفه مصطفى محمود، أو الكتب التي ألفها محمود محمد طه السوداني صاحب ما يسمى بالحزب الجمهوري السوداني يطلعك على هذه النماذج العجيبة التي تأثرت بالفكر الصوفي وخرجت على المسلمين بتأويلات باطنية للقرآن والحديث، وإليك بعض النماذج في ذلك:

المحاولة العصرية لتفسير القرآن التي كتبها الدكتور مصطفى محمود على صفحات صباح الخير المصرية، ثم جمعها في رسالة بعنوان: (القرآن محاولة لفهم عصري للقرآن) كانت محاولة صوفية حديثة لتفسير القرآن، وهي محاولة فجّة في إطار الفكر الصوفي كما سماها بذلك محمود محمد طه الأستاذ الذي نقل عنه الدكتور في كتابه فقد قال مادحاً ناقلاً عنه: (وأعجبني في كتاب للمفكر الإسلامي محمود محمد طه بعنوان "رسالة الصلاة" تعبير جميل يقول فيه: إن الله استل آدم استلالاً من الماء والطين، "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" إنه الانبثاق من الطينة درجة درجة، وخطوة خطوة، من الأميبا إلى الإسفنج إلى الحيوانات الرخوية إلى الحيوانات القشرية إلى الفقريات إلى الأسماك إلى الزواحف إلى الطيور إلى الثدييات إلى أعلى رتبة آدمية بفضل الله وهديه وإرشاده) [ص٥٣ المحاولة].

وهذا المفكر الإسلامي على حد تعبير الدكتور مصطفى محمود، مهندس زراعي سوداني درس التصوف ووصل إلى القول بسقوط التكاليف عنه لأنه وصل إلى مرحلة اليقين، وله كتاب الصلاة الذي نقل عنه الدكتور مصطفى محمود وكتب أخرى، وله كتاب في الرد على المحاولة العصرية لتفسير القرآن.

ومما أعجب الدكتور في كتاب الصلاة لمحمود محمد طه ما نقلناه بنصه آنفاً، وهو إقحام عجيب لخلق آدم عليه السلام في نظرية داروين التي انحسر الإيمان بها إلا من عقول أولئك الذين يجمعون من كل فكر غث يفسرون به كلام الله عز وجل زاعمين أنهم وصلوا إلى هذا بالكشف والمجاهدة، وما هو إلا نقل لثقافات الكفرة والملحدين ثم حمل آيات الكتاب الكريم عليها.

وأما الدليل على أن المحاولة العصرية لتفسير القرآن وتأويله ينطلق من إطار الفكر الصوفي فهي هذه النقول من كتاب الدكتور مصطفى محمود عن القرآن:

كتب الدكتور مصطفى محمود فصلاً كاملاً بعنوان (أسماء الله)، جعل المعرفة الصحيحة السليمة لمعاني الرب والإله هي التي توصل إليها المتصوفة قال: (والمتصوفة يقولون إنه يبعد عن إدراكنا لفرط قربه ويخفى علينا لفرط ظهوره) [ص٩٩].

ثم يسترسل في مدح الفكر الصوفي: (وهم يطلبون القرب من الله حباً، وليس خوفاً من النار، أو طلباً لجنة، ويقولون إنه في هجرة دائمة إلى الله من الأكوان إلى المكون) [ص١٠١].

ثم يقول: (والمتصوفة أهل أطوار وأحوال ولهم آراء طريفة لها عمقها ودلالتها، فهم يقولون إن المعصية تكون أفضل أحياناً من الطاعة، فرب معصية تؤدي إلى الرهبة من الله وإلى الذل والانكسار، وطاعة تؤدي إلى الخيلاء والاغترار، وهكذا يصبح العاصي أكثر قرباً وأدباً مع الله من المطيع) [ص١٠١].

ثم يقول: (والمتصوف واليوجي والراهب كلهم على درب واحد، وأصحاب منطق واحد وأسلوب واحد في الحياة هو الزهد) [ص١٠١].

ثم يقول أيضاً: [واليوجي والراهب والصوفي المسلم يطلبون القرب والوصل بنفس الأسلوب، بالتسابيح فيدعون الله بأسمائه "ولله الأسماء الحسنى يدعوه بها" وهناك يوجا خاصة بالتسابيح اسمها (المانترايوجا) من كلمة (منترام) الهندية أي تسبيحة، ومن التسابيح السنكريتية أن يتلو اليوجي في خشوع كلمة (رهيم، رهام) آلاف المرات وهي كلمات تقابل (رحيم، رحمن) عندنا وهي من أسماء الله بالسنسكريتية ويضع اليوجي في عنقه مسابح طويلة من ألف حبة).!!

ثم يسترسل الدكتور مصطفى محمود في الإشادة بمنهج التصوف وفهم المتصوفة للإسلام فيقول: (والتصوف إدراك عن طريق المدارك العالية، والمتصوف عارف) [ص١٠٣].

ثم يجري خلف المتصوفة في تطويع الآيات القرآنية إلى تفسيرهم الباطني فيقول: (وفي بعض أخبار داود أنه قال: يا رب أين أجدك؟ فقال: اترك نفسك وتعال، غب عني تجدني، وفي هذا يفسر بعض المتصوفة كلام الله لموسى في القرآن: {فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوىً} [طه: ١٢]، أن المقصود بالنعلين هي النفس والجسد، أو النفس وملذات الجسد، فلا لقاء بالله إلا بعد أن يخلع الإنسان النعلين: نفسه وجسده بالموت أو بالزهد) [ص١٠٤].

ثم يسترسل الدكتور فيقول: (والمتصوف لا يسأل، وهو يمرض فلا يسأل الله الشفاء ويقول في أدب، كيف أجعل لنفسي إرادة إلى جانب إرادة الله فأسأله ما لم يفعل) [ص١٠٥].

ثم يفسر قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون*} [الذاريات: ٥٦]، إن معناها ما خلقت الجن والإنس إلا ليعرفون.

ثم يقول في ختام هذا الفصل الصوفي: (هؤلاء هم أهل السر القرب والشهود الأولياء الصالحون حقاً) [ص١٠٩].

فما أثر هذا المنهج الصوفي الذي اختطه الدكتور لنفسه، وكيف كان نتاج هذا الفكر عند الدكتور؟

لقد تصدى الدكتور مصطفى محمود لتأويل القرآن وتفسيره فبماذا طلع على الناس؟ وما الفهم العصري لكتاب رب العالمين عز وجل؟!

وإليك نماذج مما وصل إليه فهم الدكتور المفسر:

أ ـ اجتهد الدكتور على حد تعبيره في معرفة الشجرة التي أكل منها آدم فعصى الله تبارك وتعالى وأوصله (اجتهاده) إلى ما يأتي بالنص:

(كان التلاقح الجنسي والشجرة المحرمة التي أكلت منها الحياة فهوت إلى العدم)... (وكان الشيطان يعلم أن شجرة النسل هي إيذان ببدء الموت والطرد من جنة الخالدين فكذب على آدم فسول له أنها شجرة الخلود بعينها، وأغراه بأن يخالط زوجه بالجسد) [ص٦٢].

ثم لا يكتفي الدكتور بذلك بل يجزم أن حواء أيضاً حملت في أثناء هذا اللقاء حيث يقول: (ثم نرى القرآن يخاطبها بعد تذوق الشجرة على أنهما جمع فيقول (اهبطوا بعضكم لبعض عدو)، بينما كان الخطاب في نفس الآيات قبل الخطيئة إلى مثنى، ومعنى هذا أن الأكل من الشجرة أدى إلى التكاثر) [ص٦٢].

ثم يقول الدكتور بعد كل هذا الهذيان: (ولا يمكننا القطع في هذه المسائل، ويجب أن نقول أن الشجرة ما زالت لغزاً، وأنّ قصة الخلق ما زالت من أمر الغيب لا نستطيع أن نقول فيها أكثر من الاجتهاد، والله أعلم بكتابه وهو وحده الذي يعلم تأويل ما فيه).

قلت: كيف وقد قطعت وفسرت بما يحلو لك آنفاً وتقوّلت على الله وعلى كتابه بغير علم ولا هدى، وزعمت كل الذي زعمت في معاني القرآن بما يوافق هواك ورأيك...!

والعجيب حقاً أن مصطفى محمود نفسه يهاجم البهائية الذين يعمدون إلى التأويل الباطني للقرآن فيقول: (وهو أمر يكشف خطورة التفسير الباطني للقرآن، وخطورة إغفال ظاهر الحروف، ومقتضى الكلمات والعبارات، وكيف يمكن أن يؤدي أمثال هذه التفاسير إلى اقتلاع الدين من أساسه، وهو ما كانت تلجأ إليه بالفعل فرق الخوارج والإثنا عشرية والباطنية والبابية لتطويع القرآن لأغراضها في هدم بعضها البعض).

ثم يستطرد قائلاً: (وهذا ينتهي بنا إلى موقف في التفسير لا بد من التزامه، وهو الارتباط بحرفية العبارة، ومدلول الكلمات الظاهر، لا تنتقل إلى تأويل باطني إلا بإشارة وإلهام من الكلمات القرآنية ذاتها فنفسر القرآن بالقرآن ظاهراً وباطناً على أن لا يتعارض تفسيرنا الباطن مع مدلول الظاهر أو يكون نافياً له). أ.هـ (محاولة تفسير عصري ص١٢٢ – ١٢٣).

والعجيب حقاً أن مصطفى محمود بالرغم من كل ما قاله عن خطورة التأويل الباطني قد فتح لنفسه هو المجال ليقول حسب هواه، فقد جعل الجنة والنار كليهما عذاباً ونعيماً معنوياً وليس شيئاً حقيقياً حسياً وقال أنا أكره العسل، ومنذ سمعت أن في الجنة أنهار عسل تقززت نفسي!!. وجعل يأجوج ومأجوج هم شعب الصين، وجعل الدجال المذكور في الحديث هو العلم العصري لأنه ينظر بعين واحدة إلى الدنيا فقط، وجعل لباس البحر للنساء لباساً أوجدته الضرورة والتفكر في خلق الله. وهذه فقط بعض تأويلاته.!

وأما أستاذه الذي نقل عنه وهو محمود محمد طه السوداني، فهذا الذي وصلت به التأويلات إلى إسقاط الشريعة عن نفسه فهو لا يصلي لأنه وصل منزلة الله!! وقد وجد بتأويلاته أن الاشتراكية في القرآن بأن الله يقول: {ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو} [البقرة: ٢١٩ – ٢٢٩]، والعفو هي الزيادة في زعمه عن الحاجة الضرورية، وهذا يعني عنده أنه لا يجوز الإدخار ويجب إنفاق كل الكسب الزائد، وبالرغم من كل هذه الخزعبلات والخرافات فقد وجد مثل هذا الفكر رواجاً.

وقد ناقشت بنفسي أعداداً كبيرة من هذا الرأي الذي يسمونه بالحزب الجمهوري في السودان، ويعجب القارئ إذا علم أن مثل هذا الفكر الباطني قد انتحله أساتذة جامعات ومحامون ومدرسون وطلاب، وأنهم يدافعون عن هذا الفكر باستماتة عجيبة، فأي خطورة أعظم من مثل هذا؟!

٣ ـ إتلاف العقيدة الإسلامية:

أول ما يستهدف الفكر الصوفي إتلافه وتبديله هو العقيدة الإسلامية النقية عقيدة الكتاب والسنة، وذلك أنّ الفكر الصوفي خليط كامل لكل الفلسفات والخزعبلات والخرافات التي انتشرت في العالم قديماً وحديثاً.

فليس هناك من كفر وزندقة وإلحاد إلا دخل إلى الفكر الصوفي وتلبس بالعقيدة الصوفية، فمن القول بوحدة الوجود وأن كل موجود هو الله، إلى القول بحلول ذات الله أو صفاته في المخلوقين، إلى القول بالعصمة، إلى الزعم بالتلقي من الغيب، إلى القول بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو قبة العالم وهو المستوي على عرش الله، إلى القول بأن الأولياء يديرون العالم ويتحكمون في الكون.

وأستطيع أن أقول أنه لا توجد عقيدة شركية في الأرض إلا وقد نقلت إلى الفكر الصوفي، وألبست الآيات والأحاديث.

بل إنني أتحدى أي صوفي يعلم ما هو التصوف أن يثبت لي حسب عقيدته، أن إبليس كافر وأنه من أهل النار.! وأن فرعون كافر وأنه من أهل النار.! وأن الذين عبدوا العجل من بني إسرائيل أخطئوا.! وأن الذين يعبدون البقر الآن كفار.!! أتحدى أي صوفي يعلم حقيقة التصوف أن يثبت ذلك.

وقد يقول قائل: كيف لا يثبت ذلك وهو ثابت في القرآن والسنة وكل مؤمن يشهد بذلك ومن شكّ في ذلك فهو كافر أصلاً؟

والجواب: إنه إن أثبت ذلك طعن في عقيدة التصوف، وشكك في أعلامه ورجاله، بل وكفّر قادته وأساطينه وبالتالي خرج عن التصوف، فشيخ الصوفية الأكبر هو ابن عربي الزنديق الذي زعم أن فرعون أعلم بالله من موسى، وأنّ من عبدوا العجل ما عبدوا إلا الله لأن العجل في عقيدته الخبيثة مظهر من مظاهر الإله -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

بل وعبدة الأصنام عنده ما عبدوا إلا الله، لأن الله عنده هو كل هذه المظاهر المتفرقة، فهو الشمس، والقمر، والإنس، والجن، والملائكة، والشياطين، بل والجنة والنار، والحيوان والنبات

والجماد، فما عُبد في الأرض إلا الله، وما إبليس عند ابن عربي إلا جزء من الإله –تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً–.

وقد جعل الصوفية هذه العقيدة اللعينة التي لم تشاهد الأرض أقبح منها ولا أفظع ولا أنتن ولا أفجر، جعلوها سر الأسرار، وغاية الغايات، ومنتهى الإرادات، ودرجة الواصلين الكاملين، ومنتهى أمل العارفين، وهي عقيدة الزنادقة الملحدين من البراهمة والهنادك وفلاسفة اليونان الأقدمين، ولا شك أن كل شر دخل التصوف بعد ذلك كان تحت ظلام هذه العقيدة اللعينة، وهذا شيء لا يستطيع أي متصوف في الأرض اليوم يعلم ما هو التصوف أن ينكره بل ولا يستقبحه، وغاية ما يقول: هؤلاء لا يفهم علمهم إلا أصحاب الأذواق، وأهل العرفان.

والحال أن هذا الكلام مشروح بلسان عربي واضح وقد كتبوه في مجلدات ضخمة وشرحوه نثراً وشعراً وقصصاً وأمثالاً، وربما اعتذر بعض المتصوفة عن هذا أنه من الشطح وغلبة الوجد، ولا شك أيضاً أن الشطح خبل وجنون، وهم يقولون إن أحوالهم هذه أكمل الأحوال فكيف يكون الجنون والخبال كمالاً، ثم كيف يكون شطحاً ما يكتب ويدون في عشرات المجلدات، ويدعى إليه على أنه غاية التصوف ونهاية الآمال.

وربما قالوا بل هو مدسوس عليهم، وهذه أيضاً من جملة كذبهم وتدليسهم، وأتحدى أي صوفي أن يذكر عبارة بعينها ويقول إنها مدسوسة أو عقيدة خاصة يعنيها ويقول إنها قد دُست على الكاتب الفلاني، كيف وهي كتبٌ كاملة، وعقائد مصنفة منمقة، وقصائد مدبجة موزونة، أتحدى أي صوفي أن يقول هذه القصيدة مدسوسة، أو هذا القول المعين مدسوس، لأنه لو قال ذلك لأصبح التصوف كله مدسوساً مكذوباً وهذا حق.

فهؤلاء زعماء التصوف كالحلاج البسطامي والجيلي، وابن سبعين، وابن عربي، والنابلسي والتيجاني وغيرهم مدسوسون على هذه الأمة، كاذبون على الله ورسوله، قائلون في دين الله بالباطل، كل منهم زعم أنه الله المتصرف في الكون، وكل منهم زعم أن الله قد وكله بجزء من هذا العالم، وكل منهم زعم أنه الولي الكامل الذي يأتيه الوحي صبحاً ومساءاً، بل المطلع على الغيب، القارئ في اللوح المحفوظ، الذي ختم الله به الأولياء، والذي جعله قبلة للعالمين ومعجزة ومناراً للخلق أجمعين، وأنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأساً، والنبي عندهم هو المستولي والمستوي على عرش الله الرحماني، فليس على العرش غير ذات محمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد صلى الله عليه وسلم عندهم هو أول الذوات وجوداً، وهو أول التعينات وهو الذي استوى على عرش الله، وهو الذي يوحي الوحي إلى كل الأنبياء، وينزل الإلهام إلى كل الأولياء، بل هو

الذي أوحى لنفسه من نفسه، فهو الذي سلم إلى جبريل الوحي في السماء، وتلقاه منه في الأرض.!!

هل سمعتم يا مسلمون عقيدة تحمل كل هذه الوقاحة والخسة والنذالة والكفر والمروق، هذه هي عقيدة الصوفية، وهذا هو تراثها ودينها.

ولقد شرحنا هذا بالتفصيل بحمد الله في كتابنا (الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة)، وذلك في طبعته الثانية ونقلنا النقول المستفيضة لكل ذلك من كتب هؤلاء الزنادقة، الذين ما فتئوا يخرجون على العالم أنهم أولياء الله وأحبابه، وأنهم يملكون مفاتيح القلوب، ومنهاج التربية الأمثل لإخراج المسلمين من الظلمات إلى النور.

والحال أن هذه هي عقيدتهم وهذا هو منهجهم في إفساد دين المسلمين، وصرف الناس عن رسالة رب العالمين.

٤ ــ الدعوة إلى الفسق والفجور والإباحية:

ويخطئ من يظن أن الصوفية في أول أمرها كانت مؤسسة على التقوى، فهذا ابن الجوزي

–رحمه الله– يروي عنهم هذه الحكاية فيقول: وبإسناد عن أبي القاسم بن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال: (أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هنا يجتمعون إليه ويتكلم عن الخطرات والوساوس، ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فارةٌ فهمٌ حاذق، فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب.

قال: فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأمهن غيرهن، فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كبير إلى الدار، وأخذ يعزي المرأة بكلام الصوفية إلى أن قال: قد تعزيت، فقال لها: ها هنا غير.؟ فقالت: لا غير، قال: فما معنى إلزام النفس آفات الهموم، وتعذيبها بعذاب الهموم، ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الأنوار، وتصفو الأرواح ويقع الاختلافات وتنز البركات.!

قال: فقلن النساء أن شئت، قال: فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا، قال المحسن قوله (ها هنا غير؟) أي هنا غير موافق المذهب. فقالت (لا غير.!) أي لا يوجد مخالف، وقوله: نترك الإمتزاج كناية عن الممازجة في الوطء، وقال لتلتقي الأنوار، عندهم أن في كل جسم نوراً إلهياً، وقوله الاختلافات أي يكون لكل خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن، قال المحسن: وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة يخبروني يبعدون عن الكذب ما

حكيته لعظمته عندي واستبعاد مثله أن يجري في دار الإسلام،، قال: وبلغني أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا) أهـ منه بلفظه [تلبيس إبليس ص٣٧٠، ٣٧١].

وهكذا تتيقن أن هذه الطائفة لم تكن في كل عصورها إلا مجموعات من الزنادقة الملحدين المنحلين تظاهروا بظاهر الشريعة النظيف، وأخفوا عن الأعين كفرهم وفسقهم وزندقتهم، ولذلك جزم ابن عقيل كما نقل عنه ابن الجوزي أنهم زنادقة ملحدون منحلون حيث يقول: (فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرّع الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلعاء الملاحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة). أهـ [تلبيس إبليس ص٣٧٤].

وقد وردت هذه العبارة البليغة من ابن عقيل –رحمه الله– بعد وصف أحوال الصوفية في زمانه حيث يقول: (ابن عقيل يصف فضائح الصوفية: وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها منها: أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات، وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميعاً والمشاوذ بألوان مخصوصة أوقع في نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون بألوان الحرير، واستمالوا النسوة والمردان –الأمرد الشاب الذي لم ينبت شعر وجهه– بتصنع الصور واللباس، فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن، ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال كالعداد والأجناد وأرباب المكوس، ويستصحبون المردان في السماعات يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه، ويسمون الطرب وجداً، والدعوة وقتاً، واقتسام ثياب الناس حكماً، ولا يخرجون من بيت إلا دعوا إليه إلا إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت، واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق.

ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخذة مجاب اعتقاداً منهم أنه قربة، وهذا كفر أيضاً لأن من اعتقد المكروه والحرام قربةً كان بهذا الاعتقاد كافراً، الناس بين تحريمه وكراهيته.

ويُسلمون أنفسهم إلى شيوخهم فإن عولوا إلى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه، فحد من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه في سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً، وفي الأفعال المعلومة كونها في الشريعة فسقاً، فإن قبل أمرداً قيل رحمة، وإن خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة، وإن قسّم ثوبا على غير أربابه من غير رضا ماله قيل حكم الخرقة.

قال ابن عقيل: وليس لنا شيخ نسلم إليه حاله، إذ ليس لنا شيخ غير داخل في التكليف وأن المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم، والضرب بدل من الخطاب، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وقد قال: إن اعوججت فقوموني ولم يقل فسلموا إلي، ثم انظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه، فهذا عمر يقول: ما بالنا نقصر وقد أمنا، وآخر يقول: تنهانا عن الوصال وتواصل؟ وآخر يقول: أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة: {أتجعل فيها} [البقرة: ٣٠ – ٤٠]، ويقول موسى: {أتهلكنا بما فعل السفهاء منا} [الأعراف: ١٥٥ – ١٦٥]؛ وإنما هذه الكلمة –يعني: قول الصوفية: الشيخ لا يعترض عليه– جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين، وسلطنة سلوكها على الأتباع والمريدين كما قال تعالى: {فاستخف قومه فأطاعوه} [الزخرف: ٥٤-٦٤]، ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل.

وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالةً ينتهي إليها العارف إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون في الصغائر، فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفراغ الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة جمعوا بين مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلعاء الملاحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة) أهـ [تلبيس إبليس ص٣٧٣ – ٣٧٤].

٥ – الصوفية واستحلال الحشيش:

ثم يستطرد ابن عقيل –رحمه الله– واصفاً زندقتهم وكفرهم وكيف أنهم فرقوا في زعمهم بين الشريعة والحقيقة، واستحلوا الحشيش المخدر بل هم أول من اكتشفه وروجه في أوساط المسلمين، واستحلوا الغناء والاختلاط واستحلوا التظاهر بالكفر والزندقة زاعمين أنها أحوال وشطح، وأنه يجب عدم الإنكار عليهم لأنهم مجاذيب أو مشاهدين لحضرة الرب – في زعمهم–.

يقول ابن عقيل: فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة، وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع، وإن سمعوا أحداً يروي حديثاً قالوا مساكين أخذوا

حديثهم ميت عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، فمن قال حدثني أبي عن جدي قلت: حدثني قلبي عن ربي، فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار، وأنفقت عليهم لأجلها الأموال، لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة في ثمن الدواء صعبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات.

وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة لأن الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم، والحق يثقل كما تثقل الزكاة، وما أخف البذل على المغنيات وإعطاء الشعراء على المدائح.

وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر بشيء سموه الحشيش والمعجون، والغناء المحرم سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل.

كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة الليونة والسهولة –يعني يلبسون فاخر الثياب ولينها– في اللبس، وطيبة في العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكاليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب، ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات.

ثم استطرد ابن قيل قائلاً: فإن قال قائل هم أهل نظافة وحسن سمت وأخلاق، قال فقلت لهم لو لم يصنعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالهم لم يدم لهم عيش والذي وصفتهم به رهبانية النصرانية.

ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات، لعلمت أن طريقتهم طريقة الفكاهة والخداع، وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فإذا لم يكن للقوم قدم في العلم ولا طريقة فبماذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال.

واعلم أن حمل التكاليف صعب، ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة، ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدرٍ عن أوامر الشرع ونواهيه، وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين، فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهيمات شبهات العقول، وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان، يحبون البطالات وسماع الأصوات وما كان السلف كذلك، بل كانوا في باب العقائد عبيد تسليم وفي الباب الآخر أرباب جد.

قال: ونصيحتي إلى إخواني أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين، ولا تصغي مسامعهم إلى خرافات المتصوفين، بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية، والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح. أهـ بلفظه [تلبيس إبليس ص٣٧٤، ٣٧٥].

ولقد استمر هذا الحال السيء المزري الذي حكاه ابن عقيل ونقله عنه ابن الجوزي –رحمهما الله–، بل لقد كانت القرون التي تلت ذلك قرون ظلام وجهل حيث عاث المتصوفة في الأرض الإسلامية فساداً وملؤوها فسقاً وفجوراً باسم الدين والإسلام، ولم يكتفوا فقط بإفساد العقول والعقائد ولكنهم أفسدوا أيضاً الأخلاق والآداب.

فهذا هو عبد الوهاب الشعراني يجمع في كتابه الطبقات الكبرى كل فسق الصوفية وخرافاتها وزندقتها، فيجعل كل المجانين والمجاذيب واللوطية والشاذين جنسياً، والذين يأتون البهائم عياناً وجهاراً في الطرقات، يجعل كل أولئك أولياء وينظمهم في سلك العارفين وأرباب الكرامات، وينسب إليهم الفضل والمقامات، ولا يستحي أن يبدأهم بأبي بكر الصديق ثم الخلفاء الراشدين، ثم ينظم في سلك هؤلاء من كان (يأتي الحمارة) جهاراً نهاراً أمام الناس، ومن كان لا يغتسل طيلة عمره، ومن كان يعيش طيلة عمره عرياناً من الثياب ويخطب الجمعة وهو عريان، ومن ومن... من كل مجنون وأفاك وكذاب ممن لم تشهد البشرية كلها أخس منهم طويةً، ولا شد منهم مسلكاً، ولا أقبح منهم أخلاقاً، ولا أقذر منهم عملاً، ينظم كل أولئك في سلك واحد مع أشرف الناس وأكرمهم من أمثال الخلفاء الراشدين والصحابة الأكرمين وآل بيت النبي الطاهرين، فيخلط بذلك الطهر مع النجاسة والشرك بالتوحيد، والهدى بالضلال، والإيمان بالزندقة، ويلبس على الناس دينهم ويشوه عقيدتهم.

واقرأ الآن بعض ما سطره هذا الأثيم عمن سماهم بالأولياء العارفين: قال في ترجمة من سماه بسيده على وحيش:

(وكان إذا رأى شيخ بلد، أو غيره ينزله من على الحمار ويقول: امسك رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض ولا يستطيع أن يمشي خطوة، وإن سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه.!) [الطبقات الكبرى ج٢ ص١٣٥].

فانظر كيف كان سيده على وحيش يفعل هذا أمام الناس!! فهل يتصور عاقل بعد هذا أن هذا التصوف النجس من دين المسلمين ومما بعث به رسول رب العالمين، محمد صلى الله عليه وسلم الهادي الأمين؟!

وهل ينظم أمثال علي وحيش ومن على شاكلته في سلك أصحاب الرسول ويجعل هؤلاء جميعاً أصحاب صراط واحدٍ إلا زنديق أفاك أراد هدم الإسلام وتخريب عقائد المسلمين؟!

وحتى لا تستفيق العقول من رقادها، فإن الشعراني هذا زعم لهم أن الأولياء لهم شريعتهم الخاصة التي يعبدون الله بها ويتقربون إلى الله بها وإن كان منها إتيان الحمير!! وكلما حاولت

نفس أن تستيقظ، وتفكر لتفرق بين الهدى والضلال، والطهر والنجاسة، ألقى هؤلاء عليها التلبيس والتزوير.

وهذا هو الشعراني يذكر أن رجلاً أنكر الفسق والفجور الذي يكون في مولد (السيد) البدوي حيث وما زال يجتمع الناس بمئات الآلاف في مدينة طنطا، ويكون هناك الاختلاط المشين بين الرجال والنساء بل تصنع الفاحشة في المساجد والطرقات، وحيث كانت تفتح دور البغاء وحيث يمارس الصوفيون والصوفيات الرقص الجماعي في قلب المسجد، وحيث يستحل كل الحرمات أقول يروي الشعراني في كتابه الطبقات أن رجلاً أنكر ذلك فسلبه الله الإيمان!! – انظر – ثم يقول: (فلم يكن شعرة فيه تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بسيدي أحمد رضي الله عنه؛ فقال: بشرط ألا تعود فقال: نعم، فرد عليه ثوب إيمانه، ثم قال له: وماذا تنكر علينا؟ قال: اختلاط الرجال بالنساء، فقال له سيدي أحمد رضي الله عنه: ذلك واقع في الطواف ولم يمنع حرمته، ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم بعضهم بعضاً، أفيعجزني الله عز وجل من حماية من حضر مولدي!!) [الطبقات الكبرى ج١ ص١٦٢].

ولا عجب أن يروي الشعراني كل ما يروي في كتابه من الزندقة والكفر والجهالة والضلالة فهذا هو يفتري عن نفسه أن السيد البدوي الذي هلك قبله بنحو من أربعة قرون كان يخرج له يده من القبر ليسلم عليه، وأنه أعد له في زاوية من زوايا مسجده غرفة ليدخل فيها على زوجته!! وأنه كان إذا تأخر عن مولد السيد البدوي كان البدوي هذا يخرج من قبره ويزيح الستر الموضوع فوق القبر ويقول: أبطأ عبد الوهاب ما جاء!!

وهذه نصوص عبارته في ذلك يقول: (إن سبب حضوري مولد أحمد البدوي كل سنة أن شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي رضي الله عنه أحد أعيان بيته رحمه الله قد كان أخذ علي العهد في القبة تجاه وجه سيد أحمد رضي الله عنه، وسلمني إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح، وقبضت على يدي وقال: يا سيدي يكون خاطرك عليه، واجعله تحت نظرك!!

فسمعت (سيدي) أحمد من القبر يقول: نعم، ثم يسترسل عبد الوهاب الشعراني قائلاً: لما دخلت بزوجتي أم عبد الرحمن وهي بكر مكثت خمسة شهور لم أقرب منها، فجاءني وأخذني وهي معي وفرش لي فراشاً فوق ركن القبة التي على اليسار الداخل وطبخ لي الحلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه وقال: أزل بكارتها هنا، فكان الأمر تلك الليلة.

ثم يقول: وتخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ٩٤٨ ثمان وأربعين وتسعمائة وكــان هنــاك بعض الأولياء، فأخبرني أن سيدي أحمد رضي الله عنه كان ذلك اليوم يكشف الستر من الضريح ويقول: أبطأ عبد الوهاب ما جاء. [الطبقات الكبرى ج١ ص١٦١، ١٦٢].

وبعد، فهذه هي النماذج السيئة التي يراد لأبناء المسلمين أن يحتذوها، وهذا هو الوجــه الحقيقــي للتصوف، وهذه هي صور من رموزه ورجالاته، ولو ذهبنا نعدد هذه الصور لخرجنا عن القصد في هذه الرسالة الموجزة وقد بسطنا هذا بحمد الله وتوفيقه في كتابنا الفكر الصوفي فــي ضــوء الكتاب والسنة فليرجع إليه.

هذا وبالله التوفيق وعليه التكلان وهو المستعان سبحانه أن يطهر مجتمــع الإســلام مــن هــذا السرطان الخبيث الذي أفسد عقائد المسلمين وأعمالهم ومجتمعهم، والصلاة والسلام فــي الختــام على النبي الكامل الطاهر الداعي إلى صراط الله العزيز الحميد.

الباب الثاني

كيف تجادل صوفياً؟

بعد أن ذكرنا في الباب السابق مخاطر الفكر الصوفي، كان لزاماً على كل من علم ذلك أن يعمل لاجتثاث هذه الشجرة الخبيثة من المجتمع الإسلامي، ولن يأتي ذلك إلا بالدعوة الحقة إلى الله عز وجل، وفضح هذا التصوف البغيض المتستر بالهدى والطهر، والمضمر لكل أنواع الفكر والزندقة.

ولذلك فإنه يجب على كلمن علم الحق أن يعمل على نشره وإذاعته، وكذلك يجب على كل من علم هذا الشر أن يعمل على اجتثاث شجرته.

ولما كان جمهور عظيم من طلاب العلم لا يعلمون حقيقة التصوف، ولا يحيطون علماً بكفرياته وأكاذيبه وترهاته وخزعبلاته، فإنهم عند مناقشتهم للصوفيين لا يحسنون الرد عليهم، ولا إقناعهم بالحق، ولا إقامة الحجة عليهم لأن الصوفي إذا رأى من يعظم الكتاب والسنة والدليل، سرعان ما يقول له: إن الجنيد –وهو شيخ الطائفة– قال: طريقتنا هذه مقيدة بالكتاب والسنة!! ومن لم يتفقه في الكتاب والسنة لم يعرف طريق القوم، وفلان قال، وفلان قال أيضاً: تمكث النكتة في قلبي من نكت القوم فلا أذيعها إلا إذا وجدت لها شاهدين من الكتاب والسنة.

فيظن طالب العلم الذي لا يعرف دروب التصوف أن هؤلاء من الحذق في الدين، والورع والإخلاص حيث لا يتكلمون بأمر إلا إذا وافق الكتاب والسنة، وأنهم متبعون لهما في أقوالهما وأفعالهما، فيسقط في يده ولا يستطيع أن يجد جواباً، وقد يقول إذن ما بال هؤلاء الذين يرقصون في موالدهم وحفلاتهم، وما بال هؤلاء المجاذيب الذين نشاهدهم يفعلون كذا وكذا من الحركات والصرخات، فيقول له الصوفي المجادل: لا.! هؤلاء عوام مغفلون وليسوا من الصوفية الحقيقية، والصوفية غير ذلك!! وهذا كذب بالطبع ولكن مثل هذا الجواب قد ينطلي على طالب العلم فيسكت وبالتالي يظل التصوف يعمل عمله في جسم الأمة ولا يتفطن له.

ولما كان كثيرٌ من طلاب العلم لا يجدون الوقت للنظر في كتب التصوف ومعرفة ما فيها، وقد يكون إذا نظر في بعضها خفي عليه الحق من الباطل وذلك للتبليس والخلط الذي يكون فيهما حيث يرى قولاً صحيحاً بجوار قول مريض، وقول يتضمن كفراً بعبارة غامضة، وقولاً رابعاً قد تلوح منه حكمة فتغبش، وتعمى أمامه الرؤيا ولا يعرف في أي الدروب يسير.!!

من أجل ذلك نكتب هذه الخلاصة الموجزة للتعريف بالقضايا الكلية الأساسية في التصوف ولكيفية المجادلة مع أساطين التصوف، ولو كان من يجادلهم أو يناقشهم طالب علم مبتدئ فإنه يحجه ويسكته وقد يرشده إلى الطريق المستقيم، وإليك هذه القواعد:

التصوف بحر من القاذورات:

اعلم أولاً أن التصوف بحرٌ من القاذورات، فقد جمع المتصوفة كل أنواع الكفر والزندقة التي توجد في فلسفات الهند وإيران واليونان، وكل مكر القرامطة والفرق الباطنية، وكل خرافات المخرفين، وكل دجل المدجلين وكل وحي الشياطين، ووضعوا كل ذلك في إطار التصوف وعلومه ومبادئه وكشوفه.

فلا يتصور عقلك عقيدة كفرية في الأرض إلا تجدها في التصوف بدءاً بنسبة الألوهية إلى المخلوقات وانتهاء بجعل كل موجود هو عين الله –تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً–.

وحتى تتضح صورة التصوف في ذهنك نضع أمامك، أخي المسلم، خلاصة موجزة جداً لمعتقدهم والفوارق الأساسية بين دينهم الصوفي وبين دين الإسلام.

أولاً – الفارق الأساسي بين الإسلام والتصوف:

يفترق منهج الإسلام وصراطه عن منهج التصوف في شيء أساسي جداً وهو (التلقي) أي مصادر المعرفة الدينية في العقائد والتشريع، فبينما يحصر الإسلام مصدر التلقي في العقائد في وحي الأنبياء والرسل فقط والذي هو لنا الكتاب والسنة فقط، فإن الدين الصوفي يجعل مصدره هو الوحي المزعوم للأولياء والكشف المزعوم لهم، والمنامات واللقاء بالأموات السابقين وبالخضر عليه السلام، بل وبالنظر في اللوح المحفوظ، والأخذ عن الجن الذين يسمونهم بالروحانيين.

وأما مصدر التلقي في التشريع عند أهل الإسلام فهو الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأما عند المتصوفة فإن تشريعاتهم تقوم على المنامات والخضر والجن والأموات والشيوخ كل هؤلاء مشرعون، ولذلك تعددت طرق التصوف وتشريعاته بل قالوا: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق فلكل شيخ طريقة ومنهج للتربية وذكرٌ مخصوص وشعائر مخصوصة وعبارات مخصوصة، ولذلك فالتصوف آلاف الأديان والعقائد والشرائع، بل مئات الآلاف وما لا يحصى، وكلها تحت مسمى التصوف.

وهذا هو الفارق الأساسي بين الإسلام والتصوف فالإسلام دين محدد العقائد، محـــدد العبـــارات، محدد الشرائع، والتصوف دين لا حدود ولا تعاريف له في عقائد أو شرائع، وهذا هــو أعظــم فارق بين الإسلام والتصوف.

ثانياً – الخطوط العريضة للعقيدة الصوفية:

(١) في الله:

يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى، منها الحلول كما هو مذهب الحلاج، ومنها وحــدة الوجــود حيث لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وهذه هي العقيدة الأخيرة التي انتشرت منذ القرن الثالــث وإلى يومنا هذا أطبق عليها أخيراً كل رجال التصوف وأعلام هذه العقيدة هم ابن عربـــي وابــن سبعين، والتلمساني وعبد الكريم الجيلي، وعبد الغني النابلسي وعامة رجال الطــرق الصـــوفية المحدثين.

(٢) في الرسول صلى الله عليه وسلم:

يعتقد الصوفية في الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً عقائد شتى فمنهم من يـــزعم أن الرســـول صلى الله عليه وسلم لم يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه جاهلاً بعلوم رجال التصوف كمـــا قـــال البسطامي: (خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله)، ومنهم من يعتقد أن الرسول محمـــد صـــلى الله عليه وسلم هو قبة الكون، وهو الله المستوي علـــى العـــرش، وأن الســـماواتوالأرض والعـــرش والكرسي وكل الكائنات خُلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهو المستوي على عرش الله وهـــذه عقيدة ابن عربي ومن جاء بعده.

(٣) في الأولياء:

يعتقد الصوفية في الأولياء أيضاً عقائد شتى، فمنهم من يفضل الولي على النبي، وعامتهم يجعـــل الولي مساوياً لله عز وجل في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق ويحي ويميت ويتصرف في الكون، ولهم تقسيمات للولاية فهناك الغوث المتحكم في كل شيء في العالم، والأقطاب الأربعـــة الـــذين يمسكون الأركان الأربعة في العالم بأمر الغوث، والأبدال السبعة الذين يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع بأمر الغوث، ومنهم النجباء وهم المتحكمون في المدن كـــل نجيـــب فـــي مدينة!! وهكذا فشبكة الأولياء العالمية هذه تتحكم في الخلق ولهم ديوان يجتمعون في غار حـــراء كل ليلة ينظرون في المقادير، وباختصار عالم الأولياء عالم خرافي كامل.

وهذا بالطبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين والتقوى وعمل الصالحات والعبودية الكاملة لله عز وجل والفقر إليه، وأن الولي لا يملك من أمر نفس شيئاً فضلاً أنه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: {قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً} [الجن: ٢١].

(٤) في الجنة والنار:

وأما الجنة فإن الصوفية جميعاً يعتقدون أن طلبها منقصة عظيمة، وأنه لا يجوز للولي أن يسعى إليها ولا أن يطلبها ومن طلبها فهو ناقص، وإنما الطلب عندهم والرغبة في الفناء المزعوم في الله، والإطلاع على الغيب والتصرف في الكون، هذه جنة الصوفي المزعومة.

وأما النار فإن الصوفية يعتقدون أيضاً أن الفرار منها لا يليق بالصوفي الكامل لأن الخوف منها طبع العبيد وليس الأحرار، ومنهم من تبجح أنه لو بصق على النار لأطفأها كما نسب إلى أبي يزيد البسطامي، ومن يعتقد بوحدة الوجود منهم يعتقدأن النار بالنسبة لمن يدخلها تكون عذوبة ونعيماً لا يقل عن نعيم الجنة بل يزيد، وهذا هو مذهب ابن عربي وعقيدته.

(٥) إبليس وفرعون:

وأما إبليس فيعتقد عامة الصوفية أنه أكمل العباد وأفضل الخلق توحيداً لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم، وأن الله قد غفر له ذنوبه وأدخله الجنة، وكذلك فرعون عندهم أفضل الموحدين لأنه قال: {أنا ربكم الأعلى} [النازعات: ٢٤]، فعرف الحقيقة لأن كل موجود هو الله، ثم هو قد آمن في زعمهم ودخل الجنة.

الشريعة الصوفية:

(٦) العبادات:

يعتقد الصوفية أن الصلاة والصوم والحج والزكاة هي عبادات العوام، وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة، خاصة الخاصة ولذلك فلهم عبادات مخصوصة.

وقد شرع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم كالذكر المخصوص بهيئات مخصوصة، والخلوة والأطعمة المخصوصة، والملابس المخصوصة والحفلات.

وإذا كانت العبادات في الإسلام لتزكية النفس وتطهير المجتمع فإن العبادات في التصوف هدفها ربط القلب بالله للتلقي عنه مباشرة، والفناء فيه واستمداد الغيب من الرسول والتخلق بأخلاق الله حتى يقول الصوفي للشيء كن فيكون ويطلع على أسرار الخلق، وينظر في كل الملكوت.

ولا يهم في التصوف أن يخالف الشريعة الصوفية ظاهر الشريعة المحمدية الإسلامية، فالحشيش والخمر واختلاط النساء بالرجال في الموالد وحلقات الذكر ذلك لا يهم لأن للولي شريعته التي تلقاها من الله مباشرة، فلا يهم أن يوافق ما شرعه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لأن لكل واحد شريعته، وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم للعوام وشريعة الشيخ الصوفي للخواص.

(٧) الحلال والحرام:

وكذلك الشأن في الحلال والحرام فأهل وحدة الوجود في الصوفية لا شيء يحرم عندها لأن كل عين واحدة، ولذلك كان منهم الزنادقة واللوطية، ومن يأتون الحمير جهاراً نهاراً.

ومنهم من اعتقد أن الله عز وجل قد أسقط عنه التكاليف وأحل له كل ما حرم على غيره.

(٨) الحكم والسلطان والسياسة:

وأما في الحكم والسلطان والسياسة فإن المنهج الصوفي هو عدم جواز مقاومة الشر ومغالبة السلاطين، لأن الله في زعمهم أقام العباد فيما أراد.

(٩) التربية:

ولعل أخطر ما في الشريعة الصوفية هو منهجهم في التربية حيث يستحوذون على عقول الناس، ويلغونها وذلك بإدخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس، ثم بالتهويل والتعظيم لشأن التصوف ورجاله، ثم بالتلبيس على الشخص، ثم بالرزق لعلوم التصوف شيئاً فشيئاً، ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج.

ثالثاً – نقطة البدء في جدال الصوفي:

كثير من الأخوة المسلمين الغيورين على الدين والكارهين للتصوف وترهاته يبدءون في جدال الصوفي بداية خاطئة وذلك في الأمور الهامشية الفرعية كبدعهم في الأذكار، وتسميتهم بالصوفية، وإقامتهم للحفلات والموالد، أو حملهم للمسابح، أو لبسهم للمرقعات أو نحو ذلك من المظاهر الشاذة التي يظهرون بها، والبدء بالنقاش حول هذه الأمور بداية خاطئة تماماً، وبالرغم من أن هذه الأمور جميعها هي بدع تخالف الشريعة ومفتريات في الدين، إلا أنها تخفي ما هو أمر وأعظم، أعني أن هذه فرعيات لا يجوز البدء بنقاشها وترك الأصوليات.

حقاً إنها جرائم ومخالفات ولكنها قليلة جداً إذا قيست بالعظائم والمفتريات والكفريات الشنيعة، والأهداف الخسيسة التي سار فيها الفكر الصوفي، ولذلك يجب على من يجادل الصوفي أن يبدأ بالأصول والأمهات لا بالفرعيات والشكليات.

ولعلك بقراءتك أصل الخلاف الجوهري بين الإسلام والتصوف قد عرفت ما ينبغي عليك أن تبدأ به في النقاش إنه منهج التلقي وإثبات الدين، أعني ما يتضمنه الإجابة على هذا السؤال: كيف نتلقى الدين؟ وتثبت العقيدة والعبادة، وما هي مصادرنا لهذا التلقي؟ الإسلام يحصر مصدر التلقي في الكتاب والسنة فقط ولا يجوز إثبات عقيدة إلا بنص من القرآن وقول الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا إثبات شريعة إلا بكتاب وسنة واجتهاد موافق لهما، والاجتهاد يصيب ويخطئ ولا معصوم إلا كتاب الله وسنة رسوله فقط، وأما في التصوف فإن الدين عندهم بزعم شيوخهم أنه يتلقونه عن الله رأساً وبلا واسطة، وعن الرسول الذي يزعمون أنه يحضر مجالسهم دائماً وأماكن ذكرهم، وعن الملائكة وعن الجن الذين يسمونهم بالروحانيين، وبالكشف الذي يزعمون أن قلب الولي ينكشف له الغيوب فيرى ما في السماوات والأرض، وما سبق وما يأتي من الحوادث، فالولي عندهم لا يعزب عن علمه ذرة في السماوات ولا في الأرض.

ولذلك فليكن أول ما تسأل الصوفي عنه: كيف تثبتون الدين؟ ومن أين تتلقون عقيدتكم؟ فإذا قال لك الصوفي: من الكتاب والسنة. فقل له: الكتاب والسنة يشهدان أن إبليس كافر وأنه وأتباعه في النار كما قال تعالى: {وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذابٌ أليمٌ} [إبراهيم: ٢٢].

والشيطان هنا هو إبليس بإجماع المفسرين من السلف، ومعنى {وما أنتم بمصرخي}: ما أنتم بمستطيعين تخليصي وإنجائي، ومعنى ذلك أنه معهم في النار، فهل تعتقدون أنتم أيها الصوفية ذلك؟

فإن قال لك الصوفي نعم نعتقد أن إبليس وأتباعه في النار، فقد كذب عليك، وإن قال لك لا نعتقد أنه في النار ونعتقد أنه تائب مما كان منه، أو أنه موحد مؤمن كما قال أستاذهم الحلاج، فقل له قد كفرتم لأنكم خالفتم كتاب الله عز وجل وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة أن إبليس كافر من أهل النار.

وقل له قد حكم شيخكم الأكبر وابن عربي أن إبليس في الجنة وفرعون في الجنة –كما في الفصوص– وقد حكم أستاذكم الأعظم الحلاج أن إبليس هو قدوته، وشيخه هو فرعون كما جاء في الطواسين [ص٥٢]، فما قولك في ذلك؟ فإن أنكره فهو مكابر جاحد، أو جاهل لا يدري، وإن

أقر بذلك وتابع الحلاج وابن عربي فقد كفر كما كفروا، وكان من إخوان إبليس وفرعون فحسبه بذلك صحبةً في النار.

وإن أراد التلبيس عليك وقال: إن كلامهم هذا شطح قالوه في غلبة حال وسكر، فقل له: كـذبت، فهذا الكلام في كتبٍ مؤلفة، وقد صدر ابن عربي كتابه الفصوص بقوله: (إني رأيت رسـول الله في مبشرة –رؤيا– في محروسة دمشق وأعطاني هذا الكتاب وقال لي: أخرج به على الناس).

وهذا الكتاب هو الذي ذكر فيه أن إبليس وفرعون هم من العارفين الناجين، وأن فرعـون كـان أعلم من موسى بالله، وأن كل من عبد شيئاً فما عبد إلا الله، والحلاج كذلك كتب كل كفرياته فـي كتاب ولم يكن شطحاً أو غلبة حال كما يقولون.

فإن قال لك الصوفي: لقد تكلم هؤلاء بلغة لا نعلمها، فقل له: لقد كتبوا كلامهم بالعربية وشـرحه تلاميذهم وقد نصوا على ذلك؛ فإن قال: إن هذه لغة خاصة بأهل التصوف لا يعرفهـا غيـرهم، فقل له: إن لغتهم هذه هي العربية وهم قد نشروها في الناس ولم يجعلوها خاصةً بهم.

وقد حكم علماء المسلمين على الحلاج بكفره وصلب على جسر بغداد عـام ٣٠٩هـ بسـبب مقالاته، وكذلك علماء المسلمين بكفر ابن عربي وزندقته، فإن قال لك الصوفي: لا أعترف بحكم علماء الشريعة لأنهم علماء ظاهر لا يعرفون الحقيقة.

فقل له: هذا الظاهر هو الكتاب والسنة وكل حقيقة تخالف هذا الظاهر فهي باطلة، ومـا الحقيقـة الصوفية التي تدعونها؟.

فإن قال لك: هي شيء من الأسرار لا ننشره ولا نذيعه.

فقل: فقد نشرتموه وأذعتموه وهو أن كل شيء موجود في زعمكم هـو الله، وأن الجنـة والنـار شيء واحد، وأن إبليس ومحمد شيء واحد، وأن الله هو المخلوق والمخلوق هـو الله كمـا قـال إمامكم وشيخكم الأكبر:

العبد حقٌ والرب حقٌ يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت عبدٌ فذاك ميت وإن قلت ربٌ أنى يكلف؟

فإن أقر بذلك وتابع هؤلاء الزنادقة فهو كافر مثلهم، وإن قال: لا أدري ما هذا الكلام ولا أعلمـه ولكنه أعتقد إيمان قائليه ونزاهتهم وولايتهم، فقل له: إن هذا كلام عربي واضح لا غموض فيه، وهو ينبئ عن عقيدة معروفة هي وحدة الوجود، وهي عقيدة الهنادك والزنادقـة نقلتموهـا إلـى الإسلام وألبستموها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فإن قال لك: لا تتعرض للأولياء حتى يؤذوك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقـول: قـال الله تعالى: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة).

قلت له: ليسوا هؤلاء بأولياء وإنما هم زنادقة مستترين بالإسلام، وأنا كافر بكم وبآلهتكم فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربي عل صراطٍ مستقيم.

فإن قال لك: يجب علينا أن نسلم للصوفية حالهم، فإنهم عاينوا الحقائق وعرفوا باطن الدين!! فقل له: كذبت، لا يجوز أن نسكت لأحد عن قول يخالف فيه الكتاب والسنة، وينشر الكفر والزندقـة بين المسلمين لأن الله يقول: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعـد مـا بينـاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينـوا فأولئـك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم*} [البقرة: ١٥٩-١٦٠]، فلذلك لا يجوز السكوت علـى بـاطلكم وترهاتكم وزندقتكم لأنكم أفسدتم العالم الإسلامي قديماً وحديثاً، وما زال هذا شأنكم إلـى اليـوم تخرجون الناس من عبادة الله إلى عبادة المشايخ، ومن التوحيد إلى الشرك وعبادة القبور، ومـن السنة إلى البدعة، ومن العلم بالكتاب والسنة إلى تلقي البدع والخرافات ممن يـدعون رؤيـة الله والملائكة والرسول والجنة.

لقد كنتم طيلة عمركم عوناً للفرق الباطنية، وخدماً للاستعمار، ولذلك فلا يجوز بتاتاً السكوت عن ضلالتكم وشرككم، وصرفكم للناس عن القرآن الكريم والحديث إلى أذكاركم المبتدعة وعبـادتكم التي لا يعدو كونها مكاءً وتصديةً كعبادة المشركين.

فعند ذلك لا بد وأن يسقط في يده، ويعلم أنه أمام من أحاط علمـاً بباطلـه، فإمـا أن يهديـه الله للإسلام الصحيح، وإما أن يخفي أمره ويستر عقيدته حتى يفضحه الله أو يمـوت علـى زندقتـه وكفره أو بدعته ومخالفته للحق.

هذا وقد فصلنا كل ذلك تفصيلاً من كتبهم وأقوالهم فارجع إلى كتاب الفكر الصوفي فـي ضـوء الكتاب والسنة تجد ذلك مفصلاً بحمد الله وتوفيقه والحمد لله أولاً وأخيراً والعزة لكتاب الله وسـنة رسوله، ومن اتبعهما وتمسك بصراط الله المستقيم وكان من المؤمنين والحمد لله رب العالمين...

الباب الثالث

ابن عربي وكتابه (فصوص الحكم)

ابن عربي والذي يسمونه الشيخ الأكبر ويلقبونه بمحي الدين المتوفى سنة ٦٣٨هـ هو صاحب كتاب (فصوص الحكم) والذي فصل فيه عقيدته المسماة بوحدة الوجود، والذي ادعى في هذا الكتاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتبه له بنصه، وسلمه إياه يداً بيد، وقال اخرج به على الناس.

قال: (فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة –رؤيا– أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا؛ فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان).

وقد جمع ابن عربي في كتابه هذا أعظم كفر عرفته البشرية في كل عصورها، دونه كفر اليهود والنصارى وسائر المشركين، فقد فصل ابن عربي في كتابه هذا عقيدته الخبيثة فيما سمي بوحدة الوجود، وأن كل هذه الموجودات القائمة من السماء والأرض والجن والإنس والملائكة والحيوان والنبات ما هي إلا الله، وأن هذه الموجودات هي عين وجوده، وأنه لا يوجد خالق ومخلوق ولا رب ولا عبد، بل الخالق هو عين المخلوق، والعبد هو عين الرب، والرب هو عين العبد، وأن الملك والشيطان، والجنة والنار، والطهر والنجاسة وكل المتناقضات والمتضادات ما هي إلا عين واحدة تتصف بكل صفات الموجودات، وهي عين الله الواحد الذي ليس معه غيره، تعالى الله عما يقول هذا المجرم وأمثاله علواً كبيراً.

وفضل هذا الخبيث نفسه على سائر البشر والأنبياء والمرسلين زاعماً أنه خاتم الأولياء كما كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء، والولي عنده أفضل من النبي لأنه زعم أن الولي يأخذ ويتعلم من معين الحق، والنبي يأخذ بواسطة الملك ومن يأخذ بلا واسطة خيرٌ مما يأخذ بواسطة، وإن كان الجميع عنده في النهاية عيناً واحدة، ولكنهم يتفاوتون في المراتب والمنازل.

ألوان من كفر ابن عربي وتفصيله لعقيدته وحدة الوجود:

وقال هذا الأفاك فيما قال: إن الله لا ينزه عن شيء لأن كل شيء هو عينه وذاته، وأن من نزهه عن الموجودات قد جهل الله ولم يعرفه، أي جهل ذاته ونفسه، قال: (اعلم أن التنزيه عن أهل الحقائق في الجانب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزه إما جاهل وإما صاحب سوء أدب) [الفصوص / ٨٦].

وقال في وصف نوح عليه السلام: {ومكروا مكراً كباراً *} [نوح: ٢٢–٢٨]، لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، فأجابوه مكراً كما دعاهم فقالوا في مكرهم: { لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً} [نوح: ٢٢–٢٣]: فإنهم لو تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله، {* وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} [الإسراء: ٢٣]: أي حكم، فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عُبد، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة والقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عُبد غير الله في كل معبود). [الفصوص / ٧٢].

ولما جعل هذا الخبيث قوم نوح عليه السلام الذين عبدوا الأصنام لم يعبدوا إلا الله، وأنهم بذلك موحدون حقاً، فلذلك كافأهم الله الذي هم نفسه وذاته، بأن أغرقهم في بحار العلم في الله، قال: {مما خطيئاتهم} [نوح: ٢٥]، فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله، {فأدخلوا ناراً} [نوح: ٢٥] في عين الماء {وإذا البحار سجرت} [التكوير: ٦]، {فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً*} [نوح: ٢٥–٢٨]، فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد). [الفصوص / ٧٣].

وقال أيضاً: (ومن أسمائه العلي، على من، وما ثم إلا هو، فهو العلي لذاته أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلوه لنفسه، ومن حيث الوجود فهو عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليس إلا هو) [الفصوص / ٧٦].

وقال: ومن عرف ما قررناه في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق، والأمر المخلوق الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا، بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة، فانظر ماذا ترى؟ {قال يأبت افعل ما تؤمر} [الصافات: ١٠٢–١١٢]: والولد عين أبيه، فما رأى يذبح سوى نفسه، وفداه بذبح عظيم، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان، وظهر بصورة ولد: لا، بل بحكم ولد من هو عين الوالد، {وخلق منها زوجها} [النساء: ١–١١]: فما نكح سوى نفسه. أهـ [الفصوص / ٧٨].

وقال أيضاً: (فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة) [الفصوص / ٧٩].

وهذا الخبيث لا يكذب الرسل فقط في إخبارهم عن الله والغيب، بل يكذب ويكابر في المحسوس فإنه بما زعم في وحدة الوجود وأنه ليس إلا الله، مدعياً أنه هو عين المخلوقات، وبذلك لا يكون هناك فارق بين الملك والشيطان، والمؤمن والكافر، والحلال والحرام، ومن عبد الشمس والقمر، ومن كفر بعبادة الشمس والقمر، بل ادعى كذلك أن الجنة والنار كليهما للنعيم، وأن أهل النار منعمون كما أهل الجنة، قال: وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين نعيم جنان الخلد، فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين يسمى عذاباً من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صاين.

وهذه صورة من الصور الشيطانية الإبليسية في الإفصاح عن هذه العقيدة الخبيثة فيما سماه بفص حكمة أحدية في كلمة هودية: (اعلم أن العلوم الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة، فإن الله تعالى يقول: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها)، فذكر أن هويته هي عين الجوارح التي هي عين العبد، فالهوية واحدة والجوارح مختلفة، ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة تختلف باختلاف الجوارح، كالماء حقيقة واحدة في الطعم باختلاف البقاع، فمنه عذبٌ فرات ومنه ملحٌ أجاج، وهو ماء في جميع الأحوال لا يتغير عن حقيقته وإن اختلفت طعومته.

وهذه الحكمة من علم الأرجل وهو قوله تعالى في الأكل لمن أقام كتبه: {ومن تحت أرجلهم} [العنكبوت: ٥٥–٦٥]: فإن الطريق الذي هو الصراط هو السلوك عليه والمشي فيه، والسعي لا يكون إلا بالأرجل، فلا ينتج هذا الشهود في أخذ النواصي بيد من هو على صراط مستقيم إلا هذا الفن الخاص من علوم الأذواق، {ونسوق المجرمين} [مريم: ٨٦–٩٦]: وهم الذين استحقوا المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور التي أهلكهم عن نفوسهم بها، فهو يأخذ بنواصيهم والريح تسوقهم وهو عين الهواء التي كانوا عليها إلى جهنم، وهي البعد الذي كانوا يتوهمونه.

فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا في عين القرب فزال البعد فزال مسمى جهنم في حقهم، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق لأنهم مجرمون، فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها، وكانوا في السعي في

أعمالهم على صراط الرب المستقيم لأن نواصيهم كانت بيد من له هـذه الصـفة، فمـا مشـوا بنفوسهم وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب.

{ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون*} [الواقعة: ٨٥] وإنما هو يبصر فإنه مكشوف الغطـا {فبصرك اليوم حديد*} [ق: ٢٢]، وما خص ميتاً من ميت، أي ما خص بعيداً من شقي {ونحـن أقرب إليه من حبل الوريد*} [ق: ٢٦]، وما خص إنساناً من إنسان، فالقرب الإلهي من العبـد لا خفاء به في الإخبار الإلهي، فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى فهو حقٌ مشهود في خلق متـوهم، فـالخلق معقـول والحـق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود، وما عدا هذين الصنفين فـالحق عنـدهم معقول الخلق مشهود؛ فهم بمنزلة الماء المالح الأجاج، والطائفة الأولى بمنزلـة المـاء العـذب الفرات السائغ لشاربه.

فالناس على قسمين: من الناس من يمشي على طريق يعرفها ويعرف غايتها، فهـي فـي حقـه صراط مستقيم. ومن الناس من يمشي في طريق يجهلها ولا يعرف غايتها وهي عـين الطريـق التي عرفها الصنف الآخر، فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة، وغير العارف يـدعو إلـى الله على التقليد والجهالة، فهذا علمٌ خاص يأتي من أسفل سافلين، لأن الأرجـل هـي السـفل مـن الشخص، وأسفل منها ما تحتها وليس إلا الطريق.

فمن عرف أن الحق عين الطريق، عرف الأمر على ما هو عليه، فإن فيه جـل وعـلا تسـلك وتسافر إذ لا معلوم إلا هو، وهو عين الوجود والسالك المسافر، فلا عالم إلا هـو فمـن أنـت؟ فاعرف حقيقتك وطريقتك، فقد بان لك الأمر على لسان الترجمان إن فهمت، وهو لسان حق فـلا يفهمه إلا من فهمه حق: فإن للحق نسباً كثيرة ووجوهاً مختلفة: ألا ترى عاداً قـوم هـود كيـف قالوا: {هذا عارضٌ ممطرنا} [الأحقاف: ٢٤]، فظنوا خيراً بالله تعالى وهو عند ظن عبـده بـه، فأضرب لهم الحق عن هذا القول فأخبرهم بما هو أتم وأعلى في القرب، فإنه إذا أمطرهم فـذلك حظ الأرض وسقي الحبة فما يصلون إلى نتيجة ذلك المطر إلا عن بعد فقال لهم: {بل هـو مـا استعجلتم به ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ} [الأحقاف: ٢٤]: فجعل الريح إشارة إلى ما فيها مـن الراحـة فإن بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة والمسالك الوعرة والسدوف المدلهمة، وفي هـذه الريح عذاب، أي أمر يستعذبونه إذا ذاقوه، إلا أنه يوجعهم لفرقة المألوف، فباشرهم العذاب فكان الأمر إليهم أقرب مما تخيلوه فدمرت كل شيء بأمر ربها، {فأصـبحوا لا يـرى إلا مسـاكنهم} [الأحقاف: ٢٤]: وهي جثثهم التي عمرتها أرواحهم الحقية، فزالت حقية هـذه النسـبة الخاصـة

وبقيت على هياكلهم الحياة الخاصة بهم من الحق التي تنطق بهـا الجلـود والأيـدي والأرجـل وعذبات الأسواط والأفخاذ.

وقد ورد النص الإلهي بهذا كله، إلا أنه تعالى وصف نفسه بالغيرة، ومن غيرتـه {حـرم ربـي الفواحش} [الأعراف: ٣٣]: وليس الفحش إلا ما ظهر. وأما فحش ما بطن فهو لمن ظهـر لـه، فلما حرم الفواحش أي منع أن تعرف حقيقة ما ذكرناه، وهي عين الأشياء فسترها بالغيرة وهـو أنت من الغير، فالغير يقول السمع سمع زيد، والعارف يقول السمع سمع الحق، وهكذا مـا بقـي من القوى والأعضاء، فما كل أحد عرف الحق فتفاضل الناس وتميزت المراتب فبـان الفاضـل والمفضول.

واعلم أنه لما أطلعني الحق وأشهدني أعيان رسله عليهم السلام وأنبيائه كلهم البشريين مـن آدم إلى محمد صلى الله عليهم أجمعين، في مشهد أقمت فيه بقرطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة، ما كلمني أحدٌ من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام فإنه أخبرني بسبب جمعيـتهم، ورأيتـه رجـلاً ضخماً في الرجال حسن الصورة، لطيف المحاورة، عارفاً بالأمور كاشفاً لها، ودليلي على كشفه لها قوله: {ما من دابةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مسـتقيمٍ *} [هـود: ٥٦]: وأي بشارة للخلق أعظم من هذه؟ ثم من امتنان الله علينا أن أوصل إلينا هذه المقالة عنه في القـرآن، ثم تممها الجامع للكل محمد صلى الله عليه وسلم بما أخبره عن الحق بأنه عين السمع والبصـر واليد والرجل واللسان: أي هو عين الحواس، والقوى الروحانية أقرب مـن الحـواس، فـاكتفى بالأبعد المحدود عن الأقرب المجهول الحد، فترجم الحق لنا عن نبيه هود مقالته لقومـه بشـرى لنا، وترجم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله مقالته بشرى: فكمل العلم في صدور الـذين أوتوا العلم {وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون*} [العنكبوت: ٤٧]: فـإنهم يسـترونها وإن عرفوهـا حسداً منهم ونفاسة وظلماً، وما رأينا قط من عند الله في حقه تعالى في آية أنزلها أو أخبر عنـه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلا بالتحديد تنزيهاً كان أو غير تنزيه) أهـ [الفصـوص / ١٠٧- ١١٠].

ولا يخجل هذا الأفاك من وصف الرب الإله سبحانه وتعالى بكل صفات الذم تصريحاً لا إجمـالاً وتلميحاً وفحوى، فهو يصف الجماع بل الوقاع نفسه أنه دليل هذه الوحدة، فالله عنده هو الطيـب والخبيث -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- فيقول: (والعالم على صورة الحق، والإنسـان علـى الصورتين) [الفصوص / ٢٢٢].

وقال: (ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة أي غاية الوصلة التي تكون في المحبة، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها، ولذلك أمر بالاغتسال منه، فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يتلذذ بغيره، فطهره بالغسل ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه، إذ لا يكون إلا ذلك، فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهوداً في منفعل، وإذا شاهده في نفسه –من حيث ظهور المرأة عنه– شاهد في فاعل، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكون عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة، فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم لنساء لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً، فإن الله بالذات غني عن العالمين، وإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً، ولم تكن الشهادة إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله) [الفصوص/ ٢١٧].

وحدة الوجود أعظم عقيدة في الفكر:

وهذه العقيدة التي لم تعرف الأرض أكفر، ولا أفجر منها والتي فصلها هذا الخبيث في كتابه الفصوص، قد نثرها وفرقها في موسوعته الكبيرة الفتوحات المكية والتي تقع في أربع مجلدات كبار.

بدأها في مقدمته بقوله: (ولما حيرتني هذه الحقيقة أنشدت على حكم الطريقة للحقيقة:

الرب حقٌ والعبد حقٌ يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت عبدٌ فذاك ميت وإن قلت ربٌ أنى يكلف

فهو يطيع نفسه إذا شاء بخلقه..) إلخ.

ثم فرق هذه العقيدة الكفرية في كتابه هذا قائلاً: (وأما عقيدة خلاصة الخاصة في الله تعالى، جعلناه مبدداً في هذا الكتاب لكون أكثر العقول المحجوبة تقصر..) [الفتوحات/ ٤٧].

أسلوب ابن عربي في كتاباته:

وبنى ابن عربي كتاباته كلها على الثعلبية والمكر والخداع وذلك بتحريف الكلم عن مواضعه تحريفاً معنوياً للقرآن الكريم والحديث الشريف، والكذب وادعاء العلم الإلهي، والرؤى، والإطلاع على ما لم يطلع عليه أحدٌ من الخلق سواه، مع ادعائه بالعلم والدين والتقوى والصدق، وقد لا يوجد على البسيطة كلها من هو أكذب منه؛ ووالله إني عندما أقرأ كتابه وأقارن بين ما

قاله إبليس في أول أمره عندما امتنع عن السجود لآدم، واستكبر وأبى فلعنه الله إلى يوم القيامة {وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين*} [ص: ٧٨]، وبين هذا الكذاب الأفاك الذي قال عن الله وفي الله ما لم تقله اليهود والنصارى ولا مشركو العرب والعجم، فأرى أن إبليس في وقت لعن الله له، كان أخف ذنباً وجرماً، وإن كان قد أصبح بعد ذلك هو محرك الشرك كله وباعثه، وابن عربي وأمثاله وإن كانوا غرساً من غراس إبليس اللعين، فإنهم قد فاقوا بكفرهم وعنادهم وعتوهم وقولهم العظيم على الله ما لم يقله إبليس، فإن إبليس كان يفرق بين الخالق والمخلوق، وبين الرب الإله القوي القاهر، وبين المخلوق الضعيف الفقير المحتاج إلى إلهه ومولاه، وأما ابن عربي هذا ومن على شاكلته فقد جعلوا إبليس وجبريل والأنبياء والكفار والأشقياء، وكل هذه المخلوقات هي عين الخالق وأنه ليس في الوجود غيره، يخلق بنفسه لنفسه، وأنه ليس معه غيره، وأن الكفر والإيمان، والحلال والحرام، والأخت والأجنبية، وإتيان النساء، وإتيان الذكور شيء واحد، وكل هذا عين الرب وحقيقته وأفعاله –فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً– ونستغفره سبحانه وتعالى من ذكر أقوالهم ونقل كفرهم، ولكننا نفعل ذلك لأن هؤلاء المجرمين هم عند كثير من الحمقى المغفلين، والزنادقة المخادعين هم عندهم أولياء الله الصالحين.

وقد قام علماء المسلمين الصادقين في كل وقت يردون إفك هؤلاء المجرمين.

ابن تيمية –رحمه الله– يرد على إفك ابن عربي وعقيدته وحدة الوجود:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– فيهم: (حتى يبلغ الأمر بأحدهم إلى أن يهوى المردان، ويزعم أن الرب تعالى تجلى في أحدهم، ويقولون: هو الراهب في الصومعة؛ وهذه مظاهر الجمال؛ ويقبل أحدهم الأمرد، ويقول: أنت الله.

ويذكر عن بعضهم أنه كان يأتي ابنه، ويدعي أنه الله رب العالمين، أو أنه خلق السماواتوالأرض، ويقول أحدهم لجليسه: أنت خلقت هذا، وأنت هو، وأمثال ذلك.

فقبح الله طائفة يكون إلهها الذي تعبده هو موطوؤها الذي تفترشه؛ وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً.

ومن قال: إن لقول هؤلاء سراً خفياً وباطن حق، وأنه من الحقائق التي لا يطلع عليها إلا خواص خواص الخلق: فهو أحد رجلين – إما أن يكون من كبار الزنادقة أهل الإلحاد والمحال، وإما أن يكون من كبار أهل الجهل والضلال، فالزنديق يجب قتله، والجاهل يعرف حقيقة الأمر، فإن أصر على هذا الاعتقاد الباطل بعد قيام الحجة عليه وجب قتله.

ولكن لقولهم سر خفي وحقيقة باطنة لا يعرفها إلا خواص الخلق، وهذا السر هو أشد كفراً وإلحاداً من ظاهره؛ فإن مذهبهم فيه دقة وغموض وخفاء قد لا يفهمه كثير من الناس). [الفتاوى ٣٧٨/٢-٣٧٩].

ويقول أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وأقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى، فيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فهو مذهب متناقض في نفسه، ولهذا يلبسون على من لم يفهمه، فهذا كله كفر باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى) [الفتاوى ٣٦٨/٢].

وقال أيضاً: (ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد، أو جاهل ضال) [الفتاوى٣٦٧/٢].

ولما سئل شيخ الإسلام -رحمه الله- عن كتاب فصوص الحكم قال: (ما تضمنه كتاب [فصوص الحكم] وما شاكله من الكلام: فإنه كفر باطناً وظاهراً؛ وباطنه أقبح من ظاهره وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة، وأهل الحلول، وأهل الاتحاد، وهم يسمون أنفسهم المحققين، وهؤلاء نوعان: نوع يقول بذلك مطلقاً، كما هو مذهب صاحب الفصوص ابن عربي وأمثاله: مثل ابن سبعين، وابن الفارض، والقونوي والششتري والتلمساني وأمثالهم ممن يقول: إن الوجود واحد، ويقولون: إن وجود المخلوق هو وجود الخالق، لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر، بل يقولون: الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، ويقولون: إن وجود الأصنام هو وجود الله، وإن عبّاد الأصنام ما عبدوا شيئا إلا الله.

ويقولون: إن الحق يوصف بجميع ما يوصف به المخلوق من صفات النقص والذم.

ويقولون: إن عبّاد العجل ما عبدوا إلا الله، وإن موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل، وإن موسى كان بزعمهم من العارفين الذين يرون الحق في كل شيء، بل يرونه عين كل شيء، وأن فرعون كان صادقاً في قوله: أنا {ربكم الأعلى} [النازعات:٢٤- ٣٤]

بل هو عين الحق، ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص.

ويقول أعظم محققيهم: إن القرآن كله شرك، لأنه فرق بين الرب والعبد؛ وليس التوحيد إلا في كلامنا.

فقيل له: فإذا كان الوجود واحداً، فلم كانت الزوجة حلالاً والأم حراماً؟ فقال: الكل عندنا واحد، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام. فقلنا: حرام عليكم) [الفتاوى ٣٦٤/٢ – ٣٦٥].

وقال ابن تيمية –رحمه الله– أيضاً (وقد صرح ابن عربي وغيره من شيوخهم بأنـــه هــو الــذي يجوع ويعطش، ويمرض ويبول وينكح وينكح، وأنه موصوف بكل عيب ونقص لأن ذلــك هــو الكمال عندهم، كما قال في الفصوص، فالعلي بنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستقصي بــه جميع الأمور الوجودية، والنسب العدمية: سواء كانت ممدوحة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومــة عرفاً وعقلاً وشرعاً وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصةً) [الفتاوى ٢/٢٦٥].

ويعتذر شيخ الإسلام –رحمه الله– عن الإفاضة في بيان عقيدة هؤلاء القوم والتحذير منهم قائلاً: (ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا، وهم عند كثير من الناس سادات الأنــام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق، وأفضل أهل الطريق، حتى فضــلوهم علــى الأنبيــاء والمرسلين، وأكابر مشايخ الدين: لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقــوال، وإيضــاح هــذا الضلال.

ولكن يعلم أن الضلال لا حد له، وأن العقول إذا فسدت: لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان؛ فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالأنبياء والأولياء، كتشبيه مسيلمة الكذاب بسيد أولي الألبــاب، وهــو الــذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين، الذين يفسدون الدنيا والدين) [الفتاوى ٢/٣٥٧–٣٥٨].

وقال –رحمه الله– في وجوب إنكار هذه المقالات الكفرية وفضح أهلها: (فهذه المقالات وأمثالهــا من أعظم الباطل، وقد نبهنا على بعض ما به يعرف معناها وأنه باطل، والواجب إنكارها؛ فــإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى، الــذي لا يضل به المسلمون، لا سيما وأقوال هؤلاء شرٌ من أقوال اليهود والنصــارى وفرعــون، ومــن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين، الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعــالى: {جاهــد الكفــار والمنافقين واغلظ عليهم} [التوبة: ٧٣–٨٣]: والنفاق إذا عظم كان صاحبه شراً من كفــار أهــل الكتاب، وكان في الدرك الأسفل من النار.

وليس لهذه المقالات وجه سائغ، ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحاً فإنما يحمــل عليها إذا لم يعرف مقصود صاحبها، وهؤلاء قد عرف مقصودهم، كمــا عــرف ديــن اليهــود والنصارى والرافضة، ولهم في ذلك كتب مصنفة، وأشعار مؤلفة، وكلام يفسر بعضه بعضاً.

وقد علم مقصودهم بالضرورة، فلا ينازع في ذلك إلا جاهل ولا يلتفت إليه، ويجب بيان معناهــا وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها، وخيف عليه أن يحسن الظن بها أو أن يضل، فإن ضررها

على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون أنها سموم، وأعظم من ضـــرر السراق والخونة، الذين لا يعرفون أنهم سراق وخونة.

فإن هؤلاء: غاية في ضررهم موت الإنسان أو ذهاب ماله، وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سبباً لرحمته في الآخرة، وأما هؤلاء: فيسقون الناس شراب الكفر والإلحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله، وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله، ويظهـــرون كلام الكفار والمنافقين، في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين، فيدخل الرجل معهم على أن يصـــير مؤمناً ولياً لله، فيصير منافقاً عدواً لله) [الفتاوى ٣٥٩/٢].

الباب الرابع

الحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي

يستحيل علينا أن نفهم ما يريده المتصوفة بقولهم (الحقيقة المحمدية) إلا بمعرفة عقيدتهم في الله، فالنظرية الصوفية الفلسفية قد وصلت في نهاية القرن الثالث إلى القول بأن الله هو هذا الوجود القائم المتجدد المتغير فهو السماوات والأرض، والعرش والكرسي والملائكة والإنسان والحيوان والنبات هو الأزل والأبد –تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً–.

وإن كانت عباراتهم تختلف أحياناً، فمرةً يقولون: (هو الروح الساري في الموجودات، ويشبهون هذا السريان بأنه كرائحة الورد في الورد، ووجود الروح في الجسم الحي).

وتارةً يقولون: (نفس وجود الموجودات هو وجود الله فليس هناك اثنان في الوجود خالق ومخلوق، بل المخلوق عين الخالق، والخالق هو نفس المخلوق)، اعتقد بذلك ونشره في الناس كبار الصوفية من أهل الزندقة والإلحاد كابن عربي، والحلاج، والجيلي، وابن سبعين، ومن على شاكلتهم.

وهؤلاء الصوفية أنكروا في كتبهم على من يشهد بأن الله سبحانه وتعالى هو الإله القائم بنفسه المستوي على عرشه البائن من خلقه والذي هو معتقد المسلمين في ربهم سبحانه وتعالى، وقد كان هذا المعتقد أيضاً هو معتقد بعض من نسب إلى التصوف، ولذلك شدد ابن عربي عليهم النكير أيضاً وخطأهم ونسبهم إلى القصور وعدم الفهم (اقرأ كتاب ابن عربي [التجليات] الذي يزعم فيه أنه التقى برجال التصوف السابقين في البرزخ وناقشهم في عقائدهم هذه في التوحيد وبين لهم خطأهم، وعرفهم في النهاية أن لا موجود إلا الله، وأن الله والعبد شيء واحد، وأنهم أقروا جميعاً بذلك، وكل ذلك في كتاب [التجليات]).

والمهم أن هؤلاء المتصوفة الذين نقلوا عقيدة وحدة الوجود عن الفلسفة الأفلاطونية واعتقدوها وجعلوها هي الحقيقة الصوفية وسر الأسرار، وهي معتقد أهل الإسلام في زعمهم، نقلوا ما قاله هؤلاء الفلاسفة في نظرياتهم في بدء الخلق، فقد قال الفلاسفة الأقدمون: (إن أول شيء بدأ في الخلق هو الهباء –أي الذرات–، وإن أول موجود وجد هو العقل الأول وسموه: (العقل الفعال)، وأنه عن هذا العقل الأول نشأ العالم العلوي السماوات والكواكب ثم العالم السفلي... إلخ).

هذه النظرية الفلسفية القديمة جاء ابن عربي ونقلها هي نفسها إلى الفكر الصوفي، ولكنه استبدل بدلاً من العقل الفعال عند الفلاسفة ما أسماه هو: (الحقيقة المحمدية) فزعم أن أول الخلق كان

هباءً –كلام الفلاسفة نفسه– وأن أول موجود هو (الحقيقة المحمدية) التي زعم ابن عربي أنها أول الموجودات وعلى حد تعبيره أول التعينات –أي أول عين تشكلت وتصورت من الذرات– يتطاول ابن عربي ويقول إن هذه (الحقيقة المحمدية) هي التي استوت على العرش الإلهي، فيجعل ما حدثنا الله سبحانه وتعالى به عن نفسه من أنه خالق الخلق، وأنه المستوي على العرش، يلوي ابن عربي كل ذلك ويلبس على المسلمين وينقل لهم كلام الفلاسفة الملحدين في أسلوب جديد بغطاء إسلامي وآيات قرآنية فيقول: إن ذات محمد صلى الله عليه وسلم هي أول ذات تكونت من الهباء، وهي التي استوت على العرش الإلهي، ومن نور هذه الذات خلق الله الخلق جميعاً بعد ذلك، فالملائكة والسماوات والأرض كل ذلك قد خلق من نور الذات الأولى وهي الذات المحمدية عند ابن عربي، والعقل الفعال في الفكر الفلسفي.

وهكذا استطاع ابن عربي أن ينقل ترهات الفلاسفة وتخيلاتهم المريضة إلى دنيا المسلمين وعقائدهم، بل جعل هذه العقيدة الإلحادية هي العقيدة الأساسية التي قام الفكر الصوفي كله بعد ذلك عليها، فإذا علمنا ماذا يعنيه المتصوفة المتفلسفون بوحدة الوجود، وأن الله عندهم ليس ذاتاً يراها المؤمنون في الآخرة وتستوي على العرش، وإنما هو نفس الوجود بكل درجاته وتناقضاته، فالله عندهم هو عين وجود الملك والشيطان والإنس والجان، والحيوان والنبات، أقول إذا علمنا بعد ذلك ماذا يريد المتصوفة من قولهم بالحقيقة المحمدية المستوية على العرش وجعل النبي محمداً صلى الله عليه وسلم هو المخلوق الأول قبل الأكوان جميعاً وهو الذي استوى على العرش، ومن نور النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله جميع الأكوان بعد ذلك السماوات والأرض والملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات.

فأصبحت الحقيقة المحمدية –في زعمه– الصورة الكاملة المتجسدة للذات الإلهية التي لا ترى بذاتها، ولا تنفصل عن هذا الوجود، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم عند ابن عربي ومشايخ التصوف الذين جاؤوا من بعده هو الله المتجلي على العرش، أو –قل– هو صورة الله المصغرة، وهو الذي منه استمدت كل الموجودات وجوداتها، وانفلقت عنه كل الأنوار وكل الأكوان وكل الموجودات، وهذا يعني أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو البذرة الأولى لكل موجود، فكأنه بذرة لشجرة كان منها بعد ذلك الساق والفروع والأوراق والثمار والأشواك، فهكذا بدأ الوجود بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، ثم خلق من نوره العرش والكرسي والسماوات والأرض وآدم وذريته، وتفرع الخلق وتدرج بعد ذلك من المخلوقات التي خلقت من نور النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فالموجودات كلها في عقيدة التصوف شيء واحد متفرع عن أصل واحد أو قل شجرة متفرعة عن بذرة واحدة.

وإليك الآن نصوص عبارات هؤلاء الملاحدة الكافرين في هذه العقيدة الكفرية الزندقية:

قال القاشاني شارح فصوص الحكم لابن عربي: (إن محمداً صلى الله عليه وسلم أول التعينات التي عين به الذات الأحدية قبل كل تعين، فظهر به ما لا نهاية من التعينات، فهو يشمل جميع التعينات، فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له إذ لا يتعين من يساويه في المرتبة، وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت، فله الفردية المطلقة، ومن هذا يعلم أن الاسم الأعظم لا يكون إلا له دون غيره من الأنبياء، ومن فرديته يعلم سر قوله: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) كونه خاتم الأنبياء وأول الأولين وآخر الآخرين، ومن أوليته وجمعيته سر قوله: (أوتيت جوامع الكلم)، وكونه أفضل الأنبياء فإنهم في التصاعد وسعة الاستعداد والمرتبة ينتهون إلى التعين الأول ولا يبلغونه، والتعين الأول هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي يرجع إليه جميع التعينات فهو البرزخ بين الذات الأحدية وبين سائر الموجودات) [شرح القاشاني على الفصوص ص٢٦٦، ٢٦٧].

ومعنى أول التعينات أي أول موجود معين له ذات وجسم، وقبله لم يكن هناك أي ذات لا عرش ولا كرسي ولا سماوات ولا أرض.

وقول القاشاني شارح الفصوص: (وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت.. إلخ) يعني أنه ليس فوق مرتبة الرسول شيء إلا الذات الإلهية التي لا توصف بأي صفة بتاتاً، لأن ذات الله عنده مطلقة عن كل قيد – في زعمه – منزهةً عن أن تكون ذاتاً معينة محدودة، مثلاً كأن يقول: لله وجه أو يد أو ساق، أو استوى على العرش، أو يأتي يوم القيامة لأن الذات الإلهية في العقيدة الصوفية هي المطلقة عن كل هذه القيود لأنها كل الموجودات.

ويشرح ابن عربي نفسه عقيدته هذه بقوله: (بدء الخلق الهباء، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي) [الفتوحات المكية ج١ ص١٥٢].

فالخلق في زعمه بدأ بالهباء أي الذرات وأول موجود وجد بذات قائمة محدودة هي ذات الرسول صلى الله عليه وسلم التي سماها الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي.

وجاء بعد ابن عربي من شرح هذه العقيدة واستفاض فيها، قال أحمد بن مبارك السلجماسي في كتابه الإبريز فيما يرويه عن شيخه عبد العزيز الدباغ: (وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله:

"وانفلقت الأنوار" أن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها، ثم خلق اللوح، ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ، أما العرش فإنه خلقه تعالى من نور، وخلق ذلك النور من النور المكرم نور نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه –أي العرش– ياقوتة عظيمة لا يقاس قدرها وعظمها، وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة فصارة مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها هو الياقوتة وصفارها هو الجوهرة، ثم إن الله تعالى أمد تلك الجوهرة وسقاها بنوره صلى الله عليه وسلم فجعل يخرق الياقوتة ويسقي الجوهرة فسقاها مرة ثم مرة ثم مرة إلى أن انتهى إلى سبع مرات فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى فرجعت ماء ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش، ثم إن النور المكرم الذي خلق العرش إلى الجوهرة التي سالت ماء لم يرجع، فخلق الله منه ملائكة ثمانية وهم حملة العرش فخلقهم من صفائه، وخلق من ثقله الريح وله قوة وجهد عظيم فأمرها تعالى أن تنزل تحت الماء فسكنت تحته فحملته، ثم جعلت تخدم وجعل البرد يقوى في الماء فأراد الماء أن يرجع إلى أصله ويجمد فلم تدعه الرياح، بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد وجعلت تلك الشقوق تتعفن ويدخلها الثقل والنتونة وشقوق تزيد على شقوق، ثم جعلت تكبر وتتسع وذهبت إلى جهات سبع وأماكن سبع فخلق الله منه الأرضين السبع، ودخل الماء بينها والبحور وجعل الضباب يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح، ثم جعل يتراكم فخلق الله منه السماوات السبع، ثم جعلت الريح تخدم خدمة عظيمة على عادتها أولاً وآخراً، فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة حرق الريح للماء والهواء، وكلما زندت نار أخذتها الملائكة وذهبت بها إلى محل جهنم اليوم، فذلك أصل جهنم، فالشقوق التي تكونت منها الأرضون تركوها على حالها، والضباب التي تكونت منه السماوات تركوه على حاله، والنار التي زندت في الهواء أخذوها ونقلوها إلى محل آخر لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي منها الأرضون السبع والضباب الذي منه السماوات السبع، بل وتأكل الماء وتشربه بالكلية لقوة جهد الريح ثم إن الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يعبدوه عليها، وخلق ملائكة السماوات من نوره صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يعبدوه عليها، وأما الأرواح والجنة إلا مواضع منها، فإنها أيضاً خلقت من نور، وخلق ذلك النور من نوره صلى الله عليه وسلم، وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره صلى الله عليه وسلم، فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السماوات والأرضين كلها خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم بلا وساطة، وأن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نورٍ خلق من نوره صلى الله عليه وسلم، ثم بعد هذا فلهذه المخلوقات أيضاً سقي من نوره صلى الله عليه

وسلم، أما القلم فإنه سقي سبع مرات سقياً عظيماً وهو أعظم المخلوقات بحيث إنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت وصارت رميماً، وكذا الماء فإنه سقي سبع مرات ولكن ليس كسقي القلم، وأما الحجب السبعون فإنها في سقي دائم، وأما العرش فإنه سقي مرتين مرة في بدء خلقه، ومرة عند تمام خلقه لتستمسك ذاته، وكذا الجنة فإنها سقيت مرتين مرة في بدء خلقها ومرة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذا سائر المؤمنين من الأمم السابقة ومن هذه الأمة فإنهم سقوا ثماني مرات، الأولى في عالم الأرواح حين خلق الله نور الأرواح جملة، وسقاه الثانية حين جعل يصور منه الأرواح فعند تصور كل روح سقاها بنوره صلى الله عليه وسلم. وأما الثالثة يوم (ألست بربكم) فإن كل من أجاب الله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سقي من نوره صلى الله عليه وسلم، لكن منهم من سقي كثيراً، ومنهم من سقي قليلاً، فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين حتى كان منهم أولياء وغيرهم، وأما أرواح الكفار فإنها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه، فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والارتقاءات السرمدية ندمت وطلبت سقياً فسقيت من الظلام والعياذ بالله، الرابعة عند تصويره في بطن أمه وتركيب مفاصله وشق بصره، فإن ذاته تسقى من النور الكريم لتفين مفاصله وتنفتح أسماعها وأبصارها، ولولا ذلك ما لانت مفاصلها، الخامسة عند خروجه من بطن أمه فإنه يسقى من النور الكريم ليلهم الأكل من فمه، ولولا ذلك ما أكل من فمه أبداً، السادسة عند التقامه ثدي أمه في أول وضعه فإنه يسقى من النور الكريم أيضاً، السابعة عند نفخ الروح فيه فإنه لولا سقي الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها الروح أبداً مع ذلك فلا تدخل فيها إلا بكلفة عظيمة وتعب يحصل للملائكة معها، ولولا أمر الله لها ومعرفتها به ما قدر ملك على إدخالها بالذات). انتهى منه بلفظه [الإبريز ص٢٢٤، ٢٢٥].

وهذا الهذيان الكامل، والتخريف الكامل شرح لعقيدة الصوفية فيما يسمونه بالحقيقة المحمدية، وأنها الذات الأولى التي انطلقت منها بعد ذلك كل الذوات والكائنات والموجودات.

ويستطرد أحمد مبارك شارحاً عقيدة الصوفية فيما يسمونه بالحقيقة المحمدية فيقول أيضاً:

(-وسمعته- رضي الله عنه يقول مرة أخرى إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه، بل كل واحد يشرب منه ما يناسبه، وكتب له فإن النور المكرم ذو ألوان كثيرة وأحوال عديدة وأقسام كثيرة، فكل واحدٍ شرب لوناً خاصاً ونوعاً خاصاً، قال رضي الله عنه: فسيدنا عيسى عليه السلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام الغربة، وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة، وعدم القرار في موضع واحد، وسيدنا إبراهيم عليه السلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة، فتراه إذا تكلم مع أحد

يخاطبه بلين، ويكلمه بتواضع عظيم، فيظن المتكلم أنه يتواضع له وهو إنما يتواضع لله عز وجل لقوة مشاهدته، وسيدنا موسى عليه السلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدر قدرها؛ وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام والله أعلم) [الإبريز ص٢٢٦].

ويقول كذلك: (وسمعته –أي شيخ عبد العزيز الدباغ– رضي الله عنه يقول إني لم أزل أتعجب من الوالي الذي يقول إنه يملأ الكون، وذلك لأن للكون باباً منه يقع الدخول إليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يطيق مخلوق من المخلوقات أي يحمل نوره صلى الله عليه وسلم، ومن عجز عن الباب فكيف يطيق غيره الله إلا أن يكون دخل من غير باب؛ يعني فيكون فتحه شيطانياً ظلمانياً، وهذا لا يملأ بيته فضلاً عن داره فضلاً عن شيء آخر، قال رضي الله عنه: واعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها، وجدت بعضاً من نور النبي صلى الله عليه وسلم، وأن مجموع نوره صلى الله عليه وسلم لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع عليه ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت، وإذا كان هذا شأن نوره صلى الله عليه وسلم فكيف يقول من يقول إنه يملأ الكون؟ فأين تكون ذاته إذا بلغت المدينة المنورة، وقربت من القبر الشريف؟! أم كيف تكون إذا تصاعدت نحو البرزخ وقربت من الموضع الذي فيه النور العظيم القائم بالروح الشريفة؟ أفتكون ذاته حاملة له والمخلوقات بجملتها عاجزة عنه؟ أم يتخطى ذلك الموضع فلم يملأ الكون؟ والغرض أن الموضوع المذكور آخذ من القبر الشريف إلى قبة البرزخ تحت العرش، ولعله أراد بالكون ما بين السماء والأرض ما عدا موضع البرزخ الذي فيه نور المعظم، فقلت: ولعله أنه يملؤه من حيث النور أي يملؤه بنوره لا بذاته كالشمس التي سطعت على السماوات والأرض، فقال رضي الله عنه: وما مراده إلا أنه يملؤه بنوره ولا يريد أنه يملؤه بذاته، ولكن أين نوره من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ فإن ذلك النور من النور المكرم بمنزلة الفتيلة في وسط النهار وقت الظهيرة، وهل يصح أن يقال إن تلك الفتيلة كسفت نور الشمس؟ فقلت: ونور الشمس من النور المكرم بمنزلة الفتيلة فما باله ملأ الأكوان؟ فقال رضي الله عنه: لم يملأ الأكوان بمعنى أن النور المكرم ذهب بسببه واضمحل فكيف ونور الشمس إنما هو من نور أرواح المؤمنين الذي هو من نوره صلى الله عليه وسلم، وإنما سبب ذلك أنا حجبنا عن مشاهدة النور المكرم كما حجبنا عن مشاهدة أنوار الأولياء، فلو كشف الحجاب لكانت له أنوار من النور المكرم بمنزلة

الفتائل وسط النهار ولم يظهر للشمس ولا لغيرها نوراً إلا كما يظهر للفتائل وسط النهار). أ.هـ [الإبريز ص٢٣٠].

ويقول أيضاً في شرح قول الشاذلي: (اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار): (الباب السابع في تفسيره رضي الله عنه لبعض ما أشكل علينا من كلام الأشياخ رضي الله عنهم) فمن ذلك أنه شرح لنا رضي الله عنه بعض الألفاظ من صلاة القطب الكامل الوارث الواصل مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، فسمعته رضي الله عنه يقول في شرح قوله (اللهم صل على من منه انشقت الأسرار) حاكياً عن سيد محمد بن عبد الكريم البصراوي رضي الله عنه: أنه الله تعالى لما أراد إخراج بركات الأرض وأسرارها مثل ما فيها من العيون والآبار والأنهار والأشجار والثمار والأزهار، أرسل سبعين ألف ملك إلى سبعين ألف ملك إلى سبعين ألف ملك ثلاث سبعينات من الألوف، فنزلوا يطوفون في الأرض، فالسبعون الأولى يذكرون اسم النبي صلى الله عليه وسلم، ومرادنا بالاسم، الاسم العالي ما يأتي في شرح وتنزلت علوم آدم، والسبعون الثانية يذكرون قربه صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل ومنزلته صلى الله عليه وسلم منه، والسبعون الثالثة تصلي عليه صلى الله عليه وسلم، ونوره صلى الله عليه وسلم مع الطوائف الثلاث، فتكونت الكائنات ببركة ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وحضوره بينها ومشاهدتها قربه صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل، قال: وذكروه على الأرض فاستقرت، وعلى السماوات فاستقلت، وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانت بإذن الله تعالى، وعلى مواضع عينيه ففتحت بالأنوار التي فيها، فهذا معنى قوله منه انشقت الأسرار، فقلت: فهذا معنى دلائل الخيرات وبالاسم الذي وضعته على الليل فأظلم وعلى النهار فاستنار وعلى السماوات فاستقلت وعلى الأرض فاستقرت وعلى الجبال فرست وعلى البحار ففجرت وعلى العيون فنبعت وعلى السحاب فأمطرت، فقال رضي الله عنه: نعم ذلك الاسم هو اسم نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فببركته تكونت الكائنات والله أعلم؛ قلت: وقد سبق كلام سيدي أحمد بن عبد الله الغوث رضي الله عنه الله عنه وقوله لمريده: يا ولدي لولا نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما ظهر سر من أسرار الأرض، فلولا هو ما تفجرت عين من العيون، ولا جرى نهر من الأنهار، وإن نور صلى الله عليه وسلم يا ولدي يفوح في شهر مارس ثلاث مرات على سائر الحبوب، فيقع لها الإثمار ببركته صلى الله عليه وسلم، ولولا نوره صلى الله عليه وسلم ما أثمرت، ويا ولدي إن أقل الناس إيماناً من يرى إيمانه على ذاته مثل الجبل وأعظم منه فأحرى غيره، وأن الذات تكل أحياناً عن حمل الإيمان فتريد أن ترميه، فيفوح نور النبي صلى الله عليه وسلم عليها فيكون معيناً لها على حمل الإيمان فتستحيله وتستطيبه) [الإبريز ص٢٢٢] أ.هـ.

وصلاة ابن مشيش هذه يقول فيها: (اللهم صلى الله عليه وسلم على من منه انشــقت الأســرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم بأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنــواره متدفقة، ولا شيء إلا هو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموســط) [أذكــار الطريقــة الشاذلية].

والحق أن هذه العبارات في وصف (الحقيقة المحمدية) حسب المفهوم الصــوفي الفلســفي، قــد يختلف بعضها عن بعض قليلاً ولكنها جميعاً مجمعة على شيء واحد وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول موجود، فمنهم من يقول: نور الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول موجود، ومنهم من يقول: بل وأيضاً ذاته النورانية المستوية على العرش، وأن وجوده البشري في وقتــه إنما كان مجرد تعيين جديد، وتسجد جديد لذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعض الصــوفية أيضاً يجعل عين الرسول صلى الله عليه وسلم وذاته هي عين الله وذاته، وأنه ليس هناك حقيقــة إلهية غير الحقيقة المحمدية، ومن ذهب إلى ذلك عبد الكريم الجيلي وغيره.

وبعضهم يفرق بين الذات الإلهية التي ليس لها تعين ذاتي ووجود منفصل عن الخلائق بل هــي كل الموجودات، بل هي في زعمهم الروح الخفي الساري في الموجــودات، وأن هــذه الــذات الإلهية خلقت النبي محمداً صلى الله عليه وسلم أولاً قبل المخلوقات جميعاً، ثم خلقت المخلوقــات بعد ذلك من نور ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ذات الرسول صلى الله عليه وسلم هي المستوية على العرش الرحماني كما قال ابن عربي.

ومنهم ولا سيما المتأخرون يجعل ذات الرسول صلى الله عليه وسلم والحقيقة المحمدية هي عين الحقيقة الإلهية، ويجعلون الرسول صلى الله عليه وسلم بصورته البشرية صورة كاملــة أو هــو أكمل صورة للحقيقة الإلهية، ويجعلون كذلك الصورة البشرية المحمدية هــي إحــدى الصــور الممكنة للرسول، ويعتقدون أنه يتشكل كثيراً في أي صورة يشاء وهذا نص عبارة عبــد الكــريم الجيلي في ذلك قال في الإنسان الكامل في الباب الستين: (اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلــى أبــد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبــار لبــاس، ولا يســمى بــه باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس آخر أسام، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباســه فــي ذلــك الزمان، فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي صلى الله عليه وسلم، وكنت أعلم أنه الشيخ، وهــذا مــن جملــة

مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة، وسر هذا الأمر تمكنه صلى الله عليه وسلم من التصور بكل صورة، فالأديب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد، فلا يسميه تلك الصورة، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية، ألا تراه صلى الله عليه وسلم لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي لتلميذه: أشهد أني رسول الله، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وهذا أمر منكور، وهو كما يرى النائم فلاناً في صورة فلان وأقل مرات بالكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم، ولكن بين الكشف والنوم فرقاً، وهو أن الصورة التي يرى فيها محمد صلى الله عليه وسلم في النوم لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية، لأن عالم المثال يقع في التعبير فيه، فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة، بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد صلى الله عليه وسلم، لما أعطاك الكشف أن محمداً صلى الله عليه وسلم متصور بتلك الصورة، فلا يجوز لك بعد شهود محمد صلى الله عليه وسلم فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل، ثم إياك أن تتوهم شيئاً في قولي من مذهب التناسخ، حاشا الله وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك مرادي، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة، وقد جرت سنته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم). أ.هـ.

وأظن أنه قد وضع الآن حقيقة المعتقد الصوفي الفلسفي في النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى تتضح الصورة أمامنا أكثر من ذلك نجمل ما قدمناه فيما يلي، فنقول: معتقد المتصوفة في النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ثلاث درجات:

(١) من يقولون بوحدة الوجود وأن الله هو ذات الموجودات فيجعلون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المخلوق الأول ومنه وعنه صدرت الموجودات جميعاً، وهو الإله المستوي على العرش، وهذا هو معتقد ابن عربي ومن على شاكلته.

(٢) من يقولون بأن نور الرسول هو أول موجود فعلاً ومنه انشقت الأنوار وخلق الخلق جميعاً لكن لا يقولون بأن ذات الرسول مستوية على العرش.

(٣) من يقولون بأن نور الرسول أول موجود وهو أكرم الخلق ومن أجله خلق الله الكون جميعاً دون أن يصرحوا بأن العوالم قد خلقت من نوره، وإنما يقولون خلقت لأجله.

هذا وبالرغم من أن الصوفية على هذه الدرجات الثلاث في الاعتقاد في النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم متفقون ومجمعون تقريباً –إلا ما شذ منهم– أن ذات الرسول صلى الله عليه وسلم هي الذات التي منها تفيض كل العلوم وتنزل كل الرسالات، فالرسل لا ينزل عليهم الوحي إلا من الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعبرون عن ذلك بقولهم إن الرسل جميعاً والأولياء أيضاً لا تفيض ولا تنزل عليهم العلوم الإلهية إلا من ذات الرسول صلى الله عليه وسلم في الأزل والأبد، أي قبل أن يوجد الرسول صلى الله عليه وسلم بذاته الترابية في الأرض، وبعد أن وجد ثم بعد أن خرجت ما يسمونه بذاته الترابية من هذه الأرض، وهذا بالطبع هو حاصل اعتقادهم في أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول موجود وأن العوالم من نوره، أو أن الكون خلق لأجله.

وكذلك مفهوم المتصوفة –المعتدلين– منهم يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب كله، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات.

ولا شك أن المتصوفة الذين يعتقدون في مثل هذه العقائد في الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتأثروا فقط بالفلاسفة في نظريتهم في الخلق وقولهم بالهباء، والعقل الأول أو العقل الفعال، بل إنهم تأثروا أيضا بما قاله النصارى في عيسى، ولا شك أن نظرية النصرانية في المسيح متأثرة بقول الفلاسفة أيضاً في العقل الفعال.

ولقد استطاع المتصوفة نقل هذه النظرية بالرغم من غموضها الفلسفي، وصعوبة التدليل عليها بدليل منطقي يقبله العقل، وبمجافاة هذه النظرية عن عقيدة الإسلام الواضحة السهلة، أقول بالرغم من كل ذلك فإن المتصوفة استطاعوا أن يجعلوا هذه العقيدة هي عقيدة العوام والكثرة من المسلمين وذلك بصياغتها لعبارات سهلة، وفي شعر سلس يجري على الألسنة سريعاً كقولهم مثلاً: (لولاك ما خلقت الأفلاك).!!

وكنت مرة أخطب في الحرم النبوي في نحو سنة ١٣٨١هـ الموافقة ١٩٦٠م تقريباً مبيناً العقيدة الواجبة في الرسول صلى الله عليه وسلم فقام إلي أحد الحجاج من كبار السن وقال لي: أليس يقول الله تعالى: (لولاك ما خلقت الأفلاك) فقلت: له ليست هذه بآية من القرآن، ولا بحديث أيضاً واعتقادها شرك بالله!!

فانظر كيف جرى هذا المعتقد على ألسنة الناس بكلام مسجوع يظنه العامي قرآناً وما هو بقرآن.

فكيف إذا كان شعراً من أمثال شعر البوصيري الذي سارت به الركبان كقوله:

وإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وقوله:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم

وهذا البيت يعبر عن معتقد الصوفية في أن علم الرسل كله من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مأخوذ من ذاته الأولى قبل أن تخلق ذاته الترابية كما يقولون، والبيت الأول يجعل الدنيا والآخرة نفحة من نفحات الرسول، وما سطره القلم ووعاه اللوح المحفوظ جزء وبعض من علوم الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكذلك وصفوا مثل هذه العقيدة في أذكار تقرأ صباحاً ومساءً –لا أقول عشرات المرات– بل يوجبون قراءتها أحياناً على مريديهم آلاف المرات، نحو قولهم في صلاة ابن مشيش: (اللهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار وفيه ارتفعت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط، صلاة تليق بك إليه كما هو أهله، اللهم سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك، اللهم ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه، وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من موارد الفضل، واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفاً بنصرتك، واقذف بي على الباطل فأدمغه، وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد). أ.هـ.

وكذلك قولهم في مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم: (يا أول خلق الله يا نور عرش الله)، ومثل هذه الكلمات كان وما زال المؤذنون في أماكن شتى من العالم الإسلامي يقولونها في المآذن قبل الآذان وبخاصة آذان الفجر، فالعامي يفهم معنىً عاماً من هذه الكلمات، وأما الصوفي المتمرس القارئ أو المريد المترقي في سلم التصوف، فإنه يظل يأخذ من هذه العقيدة حتى يتشربها أخيراً وتتطبع في نفسه ويظن –حقاً– أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول موجود أو متعين، ومنه انفلقت أنوار الوجود فكان العرش والكرسي والسماوات والأرض والملائكة والجن والإنس، وأن الله ما خلق هذا الخلق إلا من أجله وحتى يستوي هو –أي الرسول صلى الله عليه وسلم– على عرش الكون ويكون كما قال ابن عربي قبة الكون..!!

ولو أن المسلمين يقرأون القرآن ويفهمونه، ويتعلمون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ويدرسون سيرته لما استشرت وانتشرت مثل هذه العقيدة الباطلة في أوساطهم لنجحوا في البعد

عن البدع، ولكن الصوفية كانوا قد أحكموا الطوق على المسلمين فزعموا أن القرآن كله أسرار، وأن أسراره في الفاتحة، وأن سر الفاتحة في البسملة، وسر البسملة في الباء وسر الباء في النقطة!!!

ومن هذا الذي يستطيع أن يفتح نقطة الباء حتى يعلم أسرار القرآن، وكذلك جعلوا قراءة الحديث تبركاً فقط دون محاولة فهم، لأن من حاول الفهم لا بد أن يكون مجتهداً، ولا اجتهاد بعد الأئمة الأربعة.

وجعل المتصوفة قراءة السير لا تعدو أن تكون ترديداً لمنظومات ملؤوها بالكفر والشرك والغلو والتغزل في عيون الرسول الكحلية، وخدوده الوردية، وقوامه الممشوق – هكذا والله – وأما سيرته وجهاده وحياته ومعاناته صلى الله عليه وسلم فإنهم شغلوا الناس عن كل ذلك بهذه الترهات والخرافات، ولذلك ضاعت حقيقة الرسول صلى الله عليه وسلم من أوساط عامة المسلمين إلا من رحم الله، وحل مكانها هذه العقيدة الصوفية الكفرية.

المعتقد الواجب في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل:

من المعلوم أن الإيمان بالرسل من أركان الإيمان الستة كما جاء في حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى)) [متفق عليه].

وقد وصف الله الرسل في القرآن بأنهم بشر اختارهم لدعوة الناس إليه، وأنهم كانوا يأكلون الطعام وكانوا يعالجون المعاش والسعي في الأرض كبقية البشر، ولم يكن أحد منهم يعلم الغيب، أو يتصرف في الأكوان كما يشاء، أو يأتيه الطعام من الغيب وقتما يشاء إلا آية واحدة جعلها الله لعبده عيسى بعد تهديد ووعيد من الله بأن من يكفر بعد تنزل هذه الآية فإنه يعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، كما قال تعالى: {إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين*} [المائدة ١١٢-١١٥].

وهكذا لم تكن هذه الآية والكرامة إلا علامة على الرسالة وصدق عيسى عليه السلام فيما دعا إليه وأنه عبد الله ورسوله.

لقد كانت سيرة الرسل وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم مبينة أنهم بشر قاسوا ما قاساه البشر من الآلام والأسقام والأوجاع والفتن والبلايا، وتضرعوا إلى ربهم ودعوه، وخافوه، وأحبوه كذلك وطلبوا نصرته وعونه سبحانه وتعالى، وكان خاتمهم وخيرهم محمداً صلى الله عليه وسلم أكمل الرسل في تحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى على نفسه، فقد قام من الليل حتى تفطرت قدماه، وأوذي بالله أشد الأذى، وأخرجه كفار مكة منها، وعاداه المنافقون في المدينة عداءً شديداً فسبوه أقذع السباب، ورموا زوجته بأشنع فرية، وقال قائلهم: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل..!!

وعاش صلى الله عليه وسلم على الكفاف، وقالت عائشة رضي الله عنها: ((كان يأتي الهلال والهلال والهلال ثلاثة أهلة في شهرين ولا يوقف في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار..!! قيل لها فما كان طعامكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء)) [رواه البخاري]، وربط رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر بل الحجرين على بطنه، وجاع صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وصبر معهم، وكان في المرض يتألم ويوعك كما يوعك رجلان من المسلمين، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تخفى فأموره أغلبها من المعلوم من الدين ضرورة، وأشهر ذلك أنه لم يطلب من أحد أن يعظمه أو يعطيه حقاً لله فيسجد له أو يركع له، أو يقوم على رأسه أو يقوم لمقدمه كما قال أنس رضي الله عنه: ((كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحبونه وكانوا لا يقومون له لما يعلمون من شدة كراهته لذلك)).

ومعلومٌ كذلك أن الرسل لا يعلمون الغيب كما قال تعالى: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون} [النمل: ٦٥] –اقرأ الفصل الخاص بذلك في باب الكشف الصوفي–، وكذلك لم تكن كل دعواتهم تستجاب لهم فقد دعا نوح عليه السلام وشفع في ابنه قائلاً: {فقال رب إن ابني من أهلي} [هود: ٤٥]، فقيل له: {قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالحٍ فلا تسألن ما ليس لك به علمٌ إني أعظك أن تكون من الجاهلين*} [هود: ٤٥–٤٦]، ودعا إبراهيم عليه السلام لأبيه فلم يستجب له، وجاء في صحيح البخاري أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة وقد سربل بسربال من قطران، وقد علت وجه آزر غبرة وقترة فيقول له إبراهيم: يا أبت ألم أقل لك لا تعصني، فيقول له آزر: يا بني الآن لا أعصيك، فينادي إبراهيم ربه قائلاً: ربي لقد وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أكبر من أبي الأبعد، فيقال له يا إبراهيم إني حرمت الجنة على الكافرين، وانظر تحت قدميك فينظر تحت قدميه فإذا هو بذيخٍ متلطخ بالدماء –والذيخ هو ذكر الضبع– فيؤخذ من قوائمه ويلقى في النار، وكذلك امرأة نوح وامرأة لوط كانتا كافرتين ولم ينفعهما القرب من الأنبياء، وأما النبي محمد صلى الله عليه وسلم

فقد شفع في أبي طالب فلم يستجب الله له إلا بأن أخرجه من مكانه في النار إلى مكان آخر في ضحضاح من النار يغلي منه رأسه، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: ((استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي، واستأذنت أن أستغفر لها فلم يأذن لي))، وقال صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة: ((لا أغني عنك من الله شيئاً سليني مالي ما شئت))..!!

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: ((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله)) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؛ قال: ((ولا أنا ما لم يتغمدني الله برحمة منه وفضل))، وكل هذه الأحاديث مما أخرجه أهل الصحيحين وما تضمنته هو من المعلوم في الإسلام ضرورة، فإن الآيات القرآنية التي وصفت حال الرسل وافتقارهم إلى ربهم، ومعاتبته إياهم على مجرد فعلهم لخلاف الأولى كثير، كقوله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً} [الإسراء: ٧٤–٧٥]، وكذلك قوله تعالى: {ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفةٌ منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيءٍ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً} [النساء: ١١٣]، وكذلك قوله تعالى: {عفا الله عنك لم أذنت لهم} [التوبة: ٤٣]، وقوله تعالى: {ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر} [المدثر: ٢٢–٣٢]، وقوله تعالى: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} [الأحزاب: ٣٧–٤٧].

وأما الآيات التي يبين الله تعالى فيها فضله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فكثيرةٌ جداً يصعب حصرها وسردها في هذا المقام ومنها قوله تعالى: {ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاً فهدى} [الضحى: ٦–٧]، فكيف يقول تعالى: {ووجدك ضالاً فهدى} وتقول صوفية وجد محمد قبل الخلق جميعاً، ومن نوره استمد جميع الأنبياء وعلومهم!؟ ويقول تعالى أيضاً: {وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا} [الشورى: ٥٢]. والمهم أن من قرأ القرآن وعلم شيئاً من الإسلام ودرس سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حصل العلم الضروري الذي لا يدافع بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله، وأنه وجد يوم وجد على الأرض بشراً كالبشر لا علم له بشيء مما كان في الملأ الأعلى كما قال تعالى: {قل هو نبؤٌ عظيمٌ * أنتم عنه معرضون * ما كان لي من علمٍ بالملأ الأعلى إذ يختصمون * إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذيرٌ مبينٌ * إذ قال ربك للملائكة إن خالقٌ بشراً من طينٍ * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين*} [ص: ٦٧ – ٧٢]، فالرسول صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول هنا: {ما كان لي من علمٍ بالملأ الأعلى إذ يختصمون} [ص: ٦٩]، والملأ الأعلى هم الملائكة، عندما أمرهم الله بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس فكان بينه

وبين الرب سبحانه وتعالى ما كان مما قصه على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومما لم يكن عن الرسول قبل بعثته وقبل نزول هذا الوحي أو في علم منه، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاءه جبريل بالوحي ظنه شيطاناً وجاء أهله ترتعد فرائصه، وهو يقول زملوني وقال للسيدة خديجة رضي الله عنها: لقد خشيت على نفسي!!

وظن أن الذي أتاه في غار حراء شيطان من الذين ينزلون على الكهان والسحرة، فلو كان جبريل مخلوقاً من نور الرسول صلى الله عليه وسلم كما زعمت المتصوفة لقال الرسول لجبريل عندما نزل إليه أهلاً بمن خلقه الله من نوري، ولم يكن شأن الرسول أمام جبريل كما كان حيث يأمره بأن يقرأ ما في يده من آيات ما أنا بقارئ، فيضمه جبريل عليه السلام حتى تكاد أنفاس الرسول تنقطع، ثم يرسله ويقول له مرةً ثانية اقرأ ويفعل ذلك ثلاث مرات، وما كان ذلك لإشعار الرسول صلى الله عليه وسلم أن ما يراه وما يسمعه ليس خيالاً ولا رؤيا منامية وإنما هو حق.

أقول: لا شك أن من قرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم شيئاً يسيراً من عقيدة الإسلام استحال عليه الإيمان بما آمن به الصوفية في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن هؤلاء لأنهم تركوا الكتاب والسنة وراءهم ظهرياً وتركوا العقول أيضاً وراءهم وألقوها واتبعوا ما كتبه شياطين الإنس من الفلاسفة مما توهموه بعقولهم في قولهم بالهباء والهيولي والعقل الأول والعلة، وواجب الوجود الذي لا يوصف بصفة ثبوتية وإنما يوصف بالصفة وضدها، كالوجود والعدم، والحياة والموت، والفوق والتحت، وغير ذلك من هذه الأوهام، والخرافات والمتناقضات.

أقول: عندما آمن فلاسفة التصوف بهذه الخرافات الإغريقية وتركوا الإسلام والعقل فإنهم خرجوا على الناس بهذه الخرافات، وأدخلوا في الدين الإسلامي هذه الخزعبلات.

والعجيب أنهم استطاعوا بفنهم الشيطاني أن يجعلوا عقيدتهم هذه وما سموه (بالحقيقة المحمدية) عقيدة العامة والدهماء من المسلمين الذين أحسنوا الظن برجال التصوف الذين لبسوا لهم مسوح الرهبان وأضمروا لهم عقائد الشيطان، وخرجوا على الناس بجلود الضأن، وقد أخفوا عنهم قلوب الذئاب.

وقد تذرع المتصوفة لنشر عقيدتهم فيما سموه (بالحقيقة المحمدية) أيضاً بحديث موضوع وهو: (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) وذكره الشوكاني في الأحاديث الموضوعة ص٣٢٦، وحديث آخر: (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) ذكرها الحاكم وقال الصنعاني هو موضوع وكذا قال ابن تيمية، وعلى فرض صحة هذا الحديث الأخير فإنه لا شاهد فيه على عقائد الصوفية وإنما يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قدر الله كونه نبياً عندما خلق آدم.

ولا شك أن الله قد قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث: ((إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم وأمره أن يكتب كل شيء يكون)) [رواه أبو يعلى والبيهقي وصححه الألباني وأخرجه في الصحيحة برقم ١٣٣].

وبهذا يتضح لك أن ما ذكره الصوفية في عقائدهم عن (الحقيقة المحمدية) ما هو إلا هذيان وأقوال فلاسفة وكهان، وليس هو في شيء من دين الإسلام.

وصلى الله على عبده محمد إمام أهل الإيمان.

الباب الخامس

ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حب الأكوان.!

لست أدري لماذا اختارت اللجنة التي أسست بزعم نشر محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون شعارها (أنت حب الأكوان)، فإن هذا الوصف لا يصح أن يوصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل ولا الله سبحانه وتعالى، ولا أحد من أوليائه وعباده الصالحين، فإن الأكوان وهي ما عدا الله سبحانه وتعالى منها مؤمن وكافر، وفيها أماكن رضوان الله سبحانه وتعالى، وأماكن سخطه وعقابه ولعنته.

فإبليس كونٌ من الأكوان وهو عدو لله ورسوله ملعون مطرود من رحمة الله، وكذلك كل جنوده وأوليائه من الجن والإنس، وهؤلاء جميعاً أعداء الله سبحانه وتعالى وأعداء أوليائه من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: {ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون} [فصلت: ١٩]، وقال تعالى: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن} [التغابن: ٢]، وقال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبيٍ عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً} [الفرقان: ٣١].

والذين يعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمته التي بعث فيها أضعاف أضعاف من يؤمنون به ويحبونه ويوالونه من المسلمين والمؤمنين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود)). [متفق عليه].

وهذا أمر مشاهد قائم منذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وإلى يومنا، قد كان الذين عادوه وحاربوه وسبوه أضعاف من آمن به وأحبه ونصره، وكل هؤلاء الكفار هم من الأكوان، والسماوات والأرض والجنة والنار من الأكوان، فالجنة دار الرضوان، والنار دار الأشقياء أعداء الله، وفيها كل ما لعن الله من الإنس والجن، وألوان العذاب التي هي من لعنة الله فيها شجرة الزقوم وأدوات العذاب قال تعالى: {إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً*} [الإنسان: ٤]، وقال تعالى: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً*} [الإسراء: ٦٠]، وكل هذه أكوان ليست محبوبة عند الله ولا عند أوليائه، ولا توصف بأنها تحب أولياءه؟

وفي الأرض قطعٌ ومواضع هي محل محبة الله ورضوانه ومواضع هي مواضع سخطه وعقابه، فأحب البقاع إلى الله مساجدها، وشر البقاع إلى الله أسواقها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبل أحد: ((هذا جبل يحبنا ونحبه))، وقال صلى الله عليه وسلم عن ديار ثمود: ((لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا باكين أو متباكين لا يصيبكم ما أصابهم))، وكان إذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي محسر أسرع فيه مع أنه جزء من أرض المسجد الحرام، ولكنه مكان عقوبة فكان الواجب الفرار منه.

حب الأكوان والحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي:

وهذا الشعار (أنت حب الأكوان) منقول من المعتقد الصوفي فيما سمي (بالحقيقة المحمدية) وهو الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول موجود في الوجود، وأن وجوده قد كان قبل خلق السماوات والأرض واللوح والقلم، والعرش والملائكة، وأن من وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ومن نوره خلق الله جميع الأكوان بعد ذلك العرش والكرسي، والملائكة والسماوات والأرض والإنس والجن والجنة والنار... إلخ.

فالأكوان جميعاً وهي كل ما عدا الله موجودة من نور الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم سابق في الوجود على كل هذه الأكوان، والذي صاغ هذه العقيدة على هذا النحو هو ابن عربي الزنديق حيث يقول في فتوحاته المكية: (بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي) [الفتوحات ١٥٢/١].

وقال الكاشاني شارح فصوص الحكم لابن عربي: (إن محمداً أول التعينات التي عين بها الذات الأحدية، قبل كل تعين... إلخ).

وفي كتاب (تبرئة الذمة في نصح الأمة للبرهاني) قال: (فضل النبي صلى الله عليه وسلم وأسبقية نوره، وبيان أن كل الديانات مستمدة منه)، قال: (وحديث سيدنا جابر رضي الله عنه يثبت أسبقية نوره صلى الله عليه وسلم، فقد روى عن عبد الرازق بسنده في كتابه (جنة الخلد) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال: (يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنس ولا إنس، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الجزء الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم، وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد: لا

إله إلا الله محمد رسول الله، ثم نظر إليه فترشح النور عرقاً فتقطرت منــه مائــة ألــف قطــرة وعشرين ألفاً وأربعة آلاف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفســت أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفسهم أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والرحمانيون من نوري، والجنــة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والسعداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله آدم مــن الأرض، وركب فيه النور وهو الجزء الرابع، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى وجه أمي آمنة، ثم أخرجنــي إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين، هكذا بدء خلــق نبيــك يــا جابر).

ويضيف البرهاني قائلاً: (ويظن البعض أن سيدنا جبريل عليه السلام كــان الواســطة بــين الله تبارك وتعالى وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ظن هكذا فقد دلل على عدم معرفته، إذ لو صح أن سيدنا جبريل عليه السلام كان الواسطة بين الله تعالى ورسوله سيدنا محمد صــلى الله عليه وسلم لتعين وجود خلل في كلمة التوحيد فبدلاً عن لا إله إلا الله محمد رسول الله تكون: لا إله إلا الله محمد رسولُ رسولِ الله).

وحديث سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه يوضح كل ذلك، ولا بد لنا أن نورد هنا مــا دار بــين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سيدنا جبريل عليه السلام، عندما كان سيدنا جابر رضي الله عنه يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أول شيء خلقه الله تعالى، بالرغم من أننــا قــد ســبق أن أوردنا في باب مراتب الغيب، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما رأى اســتغراب ســيدنا جبريل عليه السلام عندما صلى الله عليه وسلم لسيدنا جابر رضي الله تعالى عنه عن أول شــيء خلقه الله تعالى (نور نبيك يا جابر) سأله قائلاً: يا جبريل كم عمرت من السنين؟ فقــال جبريــل عليه السلام: (يا رسول الله لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع نجماً يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة ورأيته سبعين ألف مرة) فقال صلى الله عليه وسلمك (وعزة ربي أنا ذلــك الكوكــب) رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ أنه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليــه الســلام قائلاً: (يا جبريل كم عمرت من السنين؟) إلخ الحديث.

ويستطرد البرهاني قائلاً: (ثم سأل الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن المكــان الذي يأتي منه بالوحي فقال: (حيثما أكون في أقطار السماوات أسمع صلصلة جرس فأسرع إلــى البيت المعمور فأتلقى الوحي فأحمله إلى الرسول أو النبي)، فقال له صلى الله عليه وسلم: (اذهب

إلى البيت المعمور الآن واتل نسبي) فذهب سيدنا جبريل عليه السلام مسرعاً إلى البيت المعمور وتلا نسب النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: (محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب... إلخ) فانفتح البيت المعمور، ولم يسبق أن فتح له قبل ذلك، فرأى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بداخله فتعجب، فعاد مسرعاً إلى الأرض فوجد الرسول صلى الله عليه وسلم في مكانه كما تركه مع سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه، فعاد بسرعة خارقة إلى البيت المعمور فوجده صلى الله عليه وسلم هناك، ثم عاد مسرعاً إلى الأرض فوجده صلى الله عليه وسلم ما زال جالساً مع سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه فسال جبريل عليه السلام سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم قائلاً: (هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه هذا؟) فقال سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه: (كل يا أخا العرب فإننا لم ننته بعد من الحديث الذي تركتنا فيه)، فقال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كان الأمر منك وإليك فلماذا تعبي؟) فرد عليه صلى الله عليه وسلم قائلاً: (للتشريع يا أخي جبريل)، وتلا قوله تعالى: {ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً} [طه: ١١٤]. انتهى منه بلفظه.

فهل هذه العقيدة في الرسول صلى الله عليه وسلم التي أجمع عليها من ينتسب إلى التصوف في العصور المتأخرة هي التي عناها من وضع هذا الشعار (أنت حب الأكوان) أم أن لهم تفسيراً آخر لذلك؟

وإذا كان لهم تفسيراً آخر فما معنى نشر قصيدة تتضمن هذا المعتقد عنواناً ونصاً، فقد نشروا قصيدة لمن سموه (ابن الدريهم) بهذا العنوان: (ذات القوافي قصيدة في ثلاثين قافية يمدح فيها رسول الله مسمياً إياه صلى الله عليه وسلم (سيد الوجود)، فمن قال إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو سيد الوجود؟!

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو سيد ولد آدم وليس سيداً للوجود، فإن الوجود يشمل وجود الرب ووجود كل موجود من الملائكة والسماوات والأرض وليس رسول الله سيداً لكل موجود!!.

فما معنى تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم بسيد الوجود!! وأين جاء تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم بسيد الوجود في كتاب أو سنة أو قول صاحب أو قول إمام يقتدى به!!

وسيد الوجود هو الله سبحانه وتعالى وحده، فهو السيد لكل ما سواه كما قال صلى الله عليه وسلم (إن الله هو السيد) قال تعالى: {الله خالق كل شيءٍ وهو على كل شيءٍ وكيلٌ} [الزمر: ٦٢]، وأما

من عدا الله فإذا أطلق عليه لفظ السيد فهو بحسبه، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو سيد ولد آدم يوم القيامة لأن له الشفاعة العظمى ولأن آدم ومن دونه يستشفعون به إلى الله يوم القيامة لدخول الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) الحديث.

والحسن بن علي رضي الله عنهما سيد، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)).

وقد كان الأمر كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن جميع المسلمين رجعوا إلى رأيه: معاوية بن أبي سفيان ومن معه، وكذل من كان مع الحسن ورجع الجميع إلى الصلح الذي اقترحه فاجتمعت كلمة المسلمين به، فهو سيد في هذا الزمان ولهذا الفعل العظيم.

وفي البيت الثاني من قصيدة ابن الدريهم:

نبي له فضل على كل مرسل ... وآياته في الكون تتلى وتشرح

وفي بقية القوافي و (تنشأ، تنسخ، وتؤخذ، وتنشر، إلخ).

وهذا البيت ترجمة لتلك العقيدة أن الرسل جميعاً يأخذون علومهم من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأنه هو الذي أوحى إليهم.

والآيات لا تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بل تنسب إلى الله سواءً كانت الآيات المتلوة المنزلة من الله إلى رسوله، أو المعجزات الإلهية التي أجراها الله على يديه، أو آياته في الخلق، ولا يقال عن شيء من ذلك (آيات الرسول)!!.

وفي البيت الأول في قصيدة ابن الدريهم هذا يقول:

إذا لم أزر قبر النبي محمد ... وأسعى على رأسي فإني (أحمق)!!

وفي بقية القوافي: مشوش، منغص، مغفل، مذمم.. إلخ.

وشد الرحال إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس مشروعاً ولا هو قربة إلى الله كما قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)). وابن الدريهم هذا جاهل من الجهال وإذا جعل نفسه أحمق أو مغفل أو أرعن إذ لم يسع على رأسه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه على كل أحواله في الصدق والكذب جاهل أحمق يتعبد بغير المشروع.

والسؤال لمن ادعوا محبة الرسول؟ ما قيمة نشر مثل هذا الشرك والجهالة في الناس!؟ باسم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم؟

وفي موقعهم على الإنترنت والذي سموه أيضاً باسم (أنت حب الأكوان) علقوا مجموعة من الأغاني والسماع الصوفي بالألحان المبتدعة وضرب الدفوف للرجال، وكل هذا من البدع المنكرة، والسماع الصوفي عندما بدأ في أمة الإسلام في أواخر القرن الثاني لم يبدأه إلا الزنادقة، يقول الإمام الشافعي رحمة الله عليه (تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع).!

وهذه الأغاني إلى جانب أنها بدعة منكرة فإنها لا تليق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بالرجال.

وللأسف أن تلك الأغاني والأناشيد قد اشتملت على تلك العقائد الفاسدة.

كنا نتمنى أن تنطق هذه الحملة في هذا الوقت العصيب للذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره، ونصر دينه، ونشر نوره في العالمين، وذلك أن حملة الكفر العالمية الآن قد جعلت هدفها الأول هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ففي كل يوم يطلع علينا كبير من كبراء الكفر في الغرب والشرق ليعلن أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو أول إرهابي، وأن الإسلام الذي جاء به هو دين الشياطين.

وهذه هي الشبكة العنكبوتية "الإنترنت" فيها عشرات المواقع المتخصصة في سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنه وشتمه، وقد جعلت منه أسوأ رجل شهده العالم، وحسب من أراد الإطلاع أن يفتح برنامج المحادثة (البالتوك) في المواقع العربية ليرى ما ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشتم والسب واللعن على مدار الأربع والعشرين ساعة، وليرى عشرات الآلاف من الشبهات والشكوك والمطاعن في القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم وشريعة رب العالمين!!

وكنا وما زلنا نود أن تكون هذه اللجنة التي انطلقت بهذه (الفعاليات) الواسعة وبهذه الإمكانيات من أهل الخير والإحسان أن يكون هدفها نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشر محامده وشمائله في العالمين، والدعوة إلى نشر دينه.

ومن أجل ذلك نهيب بهم، تغيير هذا الشعار الكاذب (أنت حب الأكوان)، ونبذ هذه البدع، والتحذير من هذه العقيدة الضالة في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول موجود في الوجود، وأنه المستوي على عرش الله، وأنه الذي يمد كل الرسل والأنبياء –تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً–.

ولن يفيدكم وضع صورة الانفجار الكبير الذي يفسر به الملاحدة نشأة الكون ليكون ذلـــك رمـــزاً لهذه العقيدة الضالة، فإن أهل الإيمان يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى هو الأول الذي لـــيس قبلـــه شيء، وأنه سبحانه كما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم: ((كان الله ولا شيء معه وكـــان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء)).

وأما وضعكم في شعاركم الكاذب فتى وفتاة ينظران إلى السماء فلا يعني هذا إلا صرف النـــاس عن عبادة الله إلى عبادة غيره. وصلى الله على عبده ورسوله محمد الصادق.

خاتمة

وفي هذا الذي نقلناه بحمد الله كفاية لمعرفة هذه العقيدة الكافرة، والعلم بأعظم من قام بترويجهـــا ونشرها، ولعل في ذلك تحذيراً للمؤمنين المسلمين أن يغتروا بأقوال هؤلاء الزنادقة والمنافقين.